النسيان والذكر في القرآن الكريم

دراسة لغوية ومنهج جديد
في تفسير الكتاب الحكيم

للدكتور/ السيد رزق الطويل

■ الدكتور السيد رزق الطويل.

■ ولد في قرية نكلا الجيزة مصر سنة ١٩٣٢م. حفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، ثم التحق بالأزهر وحصل على الشهادة العالية من كلية اللغة العربية بامتياز عام ١٩٥٩م. ثم حصل على الماجستير في الدراسات اللغوية سنة ١٩٦٧، وعلى الدكتوراه سنة ١٩٧٤م.

■ عمل بوزارة المعارف السعودية لمدة عامين، ثم بوزارة التربية والتعليم بمصر، ثم في جامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية أستاذاً مشاركاً، وأخيراً أستاذاً مشاركاً في قسم الدراسات العليا العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

■ اشتغل بالدعوة الإسلامية منذ أن كان طالباً، أسس جماعة دعوة الحق الإسلامية بمصر عام ١٣٩٥هـ وهي جماعة مركزية تسهم في نشر الدعوة السلفية ويصدر عنها مجلة الهدي النبوي.

■ مؤلفاته الإسلامية ـ العقيدة في الإسلام منهج حياة ـ بنو إسرائيل في القرآن دراسة وتحقيق. الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج، مجموعة أبحاث نشرت في دورية «المقاولون العرب» تحت عنوان مع القرآن وهي القرآن والتفكر، القرآن وأهل البيت، والقرآن واللغة العربية.

ومن مؤلفاته اللغوية: اختلاف النحويين ـ دراسة وتحليل وتقويم ـ في علوم القراءات ـ مدخل ودراسة وتحقيق ـ أبنية الأفعال في اللسان العربي ـ النحو البسيط ـ بحوث لغوية نشرت في مجلات جامعية بعنوان: واو الثمانية ـ التوهم في الدراسة النحوية والصرفية ـ ظاهرة التغليب ومواقفها في القرآن.

وتحت الطبع الآن: الإسلام دعوة الحق ـ أساليب العموم والاستغراق في النحو العربي ـ اللسان العربي والإسلام معاً في معركة المواجهة. إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث.

(النسيان والذكر في القرآن الكريم)

مقدمـــة

باسم الله وحده، والصلاة والسلام على من لانبي بعده

وبعـــد:

فهذا بحث ميدانه: كتاب رب العالمين.

وموضوعه: النسيان والذكر وتناول القرآن الكريم لهما.

ومنهجـه: تتبع هذين اللفظين في الكتـاب العـزيز، في صورهمـا المتنـوعة، واستخلاص النظرة الشاملة لهما بحيث يبدوان موضوعًا واحدًا، متكاملاً، مدروسًا على ضوء المنهج الإسلامي.

ومن هنـا نرى هذا البحث يحمـل طابع الدراسة اللغوية للقرآن الكريم، وفي الوقت نفسه أسلوب جديد في تفسير الكتاب العزيز.

والنسيان والذكر ظاهرتان بشريتان، ولهما أثرهما الكبير في مسيرة البشر من هذه الحياة، وهما أيضًا من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان؛ ليستعين بها في أداء رسالته في الحياة، رسالة العبودية الخالصة لله تعالى وحده.

وقد يتصور الإنسان بادىء الرأي أن هذين من الأمور البشرية التي لا يتعرض لها المنهج الإلهي بالبيان!! فماذا يهم الإسلام إن نسي الإنسان في دنياه أو تذكر؟!

لكن الحقيقـة التي يؤكـدهـا السلوك الإنسـاني أن ظاهرتي النسيان والذكر قد تصبحـان موضـوعًا إسلامياً عندما يتحول النسيان إلى غفلة، وعندما يكون الذكر سياجاً يحمي عقيدة الإيمان.

ولهذا تحدث القرآن الكريم ـ كما سنرى ـ عن هاتين الظاهرتين كثيراً، وبشمول واستيعاب لجميع أوضاعهما الإنسانية والدينية.

وسنبدأ بالحديث عن النسيان اتباعًا لمنهج القرآن الذي يحارب الكفر كمقدمة للدعـوة إلى الإيمـان، وينهى عن الشـرك قبـل الـدعوة إلى التوحيد، ويحارب الطاغوت قبل أن يدعو إلى عبادة الله وحده لاشريك له.

وكلمة التوحيد: أولَها نفي، وآخرها إثبات.

قال تعالى ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا**﴾[1] ﴿**فمن يكفر بالطَّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها والله سميع عليم**﴾[2].

أسأل الله الكريم أن يمنحنا التوفيق والسداد، وأن ييسر لنا أسباب القول؛ ليتحقق الخير الذي نرجوه لأمتنا المسلمة، والله يتولى الصالحين.

النسيان في القرآن

النسيان ظاهرة بشرية:

النسيان ظاهرة بشرية، وسمة أصيلة من مسلك الإنسان، وقد اختلف اللغويون في اشتقاق الإنسان، فمنهم من رأى أن أصل الكلمة هو الأنس، وآخرون منهم رأوا أصلها النسيان، وقديمًا قال أحد الشعراء:

وماسمي الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب

وهذا يؤكد أصالة هذه الصفة في سلوك البشر.

ويرى علماء النفس أن النسيان ضرورة بشرية، لأن الذاكرة لها درجة تشبع، ومن رحمة الله بالإنسان أن منحه النسيان ليهمل مالايهمه، ويختزنه في عقله الباطن، ويحتفظ في منطقة الشعور بكل مايهمه من شئون حياته.

والنسيان بهذه الصفة يخرج عن دائرة التكليف، ويتجاوز حدود المسئولية، ويعفى الإنسان مما يحدث منه وهو واقع تحت سلطانه، خاضع بغير قصد لتأثيره.

أما النسيان المقصود، وهو تعبير قد نجد من ظاهره لوناً من التناقض، لكنه في حقيقة الأمر لاتناقض فيه، إذ فيه نسيان، وفيه قصد، ونعنى به الغفلة عن الواجب، وإهمال مالا ينبغي أن يهمل من حقوق ومسئوليات.

---

(١) النساء، من الآية [٣٦].

(٢) البقرة، من الآية [٢٥٦].

تناول القرآن لهذه الظاهرة الإنسانية:

ولنتجه الآن إلى القرآن الكريم لنرى كيف تناول هذه الظاهرة؟!

وبإحصاء دقيق للفظ النسيان في القرآن الكريم في صوره الاشتقاقية المختلفة نجد أنه ورد في خمسة وأربعين موضعاً من الكتاب العزيز.

وبدراسة المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ بمشتقاته، نرى أن القرآن الكريم قد استخدمه بمعنييه جميعًا: النسيان الحقيقي الذي يلم بالإنسان في غير قصد أو إرادة والنسيان المقصود الذي نعنى به الغفلة عن الواجب وإهمال المسئوليات.

النوع الأول: النسيان الحقيقى. كيف تناوله القرآن.

عندما يكون النسيان قسراً وجبراً، وعندما يلم بالإنسان بلا قصد منه أو إرادة يكون هو النسيان الحقيقي الذي أعطيناه صفة الظاهرة البشرية أو السمة الإنسانية؛ إذ أن أي إنسان مهما كان لايستطيع أن يتجرد منه.

وحديث القرآن عن هذا النوع حديث إخباري بحت، يعرض فيه بعض صوره أو ينفيه في بعض المواضع التي ينبغى أن ينفى فيها؛ لأنه تجاوز إطار الظاهرة البشرية، أو يتناوله في أسلوب دعاء على لسان المؤمنين يضرعون فيه إلى ربهم ألا يؤاخذهم بما وقع منهم تحت سلطانه، وهذا أقصى ماينبغى أن يتحدث به القرآن عن ظاهرة بشرية جبرية كهذه فهو إذن لايحتاج إلى تحليل أو تقويم، أو إصدار أحكام كما سنرى في النوع الثاني.

وتناول القرآن الكريم لهذا النوع من النسيان بصوره الثلاث: النفي والدعاء والإخبار. جاء في أحد عشر موضعًا.

(١) - في صورة النفي:

(أ) - نفاه القرآن نفياً قاطعاً عن رب العالمين، الذى ربى الوجود كله بنعمه، ورعاه بحكمته وخبرته، وحفظه بقدرته؛ إذ يقول تعالى ﴿**ومانتنزَّل إلاّ بأمر ربك له**

مابين أيـدينا وماخلفنا ومابين ذٰلك وماكان ربُّكَ نسيّاً﴾[٣] ونفي النسيان عن طريق نفي كينـونتـه أروع وأوضح، إذ هو بالنسبة لله لا وجود له، لا أنه موجود ثم نفي، وحـاشـا للحكم العـدل اللطيف الخبير أن تلم به ظاهـرة هو ركبَّها في الإنسان؛ لتنسجم له أسباب الحياة.

(ب) - وفي موضع آخر يطمئن رب العالمين نبيه بأنه سيكون بمنجاة من هذه الظاهرة البشرية في مجال الوحي، وتبليغ الشريعة، فيقول له: ﴿**سنقرئك فلا تنسىٰ**﴾[٤].

ففي هذه الآية ينفي القرآن النسيان عن النبي عليه الصلاة والسلام في كل ما يتصل بالوحي، وتبليغ الرسالة.

(جـ) - وفي موضع ثالث ينفيه عن الكتاب أو اللوح المحفوظ الذي سجل فيه أقدار الخلق، وأعمالهم ومصايرهم، ووحي الله وأمره إليهم، قال تعالى: ﴿**قال عِلمها عند ربِّي في كتـٰبٍ لا يضلُّ ربِّي ولا ينسى**﴾[٥]

وإذا تصورنا نفي الضلال والنسيان منسوباً لله في هذه الآية، فإننا بهذا الاعتبار ندخلها في الموضع الأول.

(٢) - في صورة الدعاء أو الالتماس:

في دعاء المؤمن لربه الذي علمه إياه نرى ضراعة خاشعة، عادلة قويمة، يرجو فيها ألا يؤاخذه بما سلف من تحت سلطان النسيان، المبسوط على بني الإنسان، فيقـول تعـالى: ﴿**ربَّنا لا تؤاخذنآ إن نَّسينآ أو أخطأنا**﴾[٦] وفي موضع آخر يلتمس موسى من العبـد الصـالح، ألا يؤاخذه بنسيانه ما اشترط عليه من عدم الاعتراض

---

(٣) سورة مريم، الآية [٦٤].
(٤) الأعلى، الآية [٦].
(٥) طه، الآية [٥٢].
(٦) البقرة، من الآية [٢٨٦].

على تصرف يصدر منه، يقول تعالى على لسان موسى: ﴿**قال لاتؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرًا**﴾[٧]

(٣) ـ أخبار قرآنية تتصل بالنسيان:

(أ) ـ مريم عليها السلام، وقد اختارها ربها موضعًا لآيته؛ ونفخ فيها من روحه، وأحست بحكم نوازعها البشرية بكثير من الأسى، ورأت في الأمر محنة لها، إذ كيف يعلم الناس بحقيقة موقفها وبراءة ساحتها!! لذا كانت أمنيتها على الله تعبيراً عن مدى الألم الذي أحاط بها، تمنت أن قد كانت في عالم الموتى، ومحيت من ذاكرة الناس قبل أن تعيش هذه المأساة (كما تراها) يقول تعالى: ﴿**فأجآءها المخاض إلىٰ جذع النَّخلة قالت ياليتني متُّ قبل هٰذا وكنت نسياً مَّنسيًّا**﴾[٨].

(ب) ـ وفي حديث القرآن الكريم عن عجل السامري الذى فتن به بنو إسرائيل على أساس أنه رمز للإله ارتضاه لهم موسى، لكنه ذهب إلى الموعد، ونسيه مع السامري، هكذا فهموا أو هكذا خدعهم المحتال الأثيم ﴿**فأخرج لهم عجلاً جسداً لَّه خوار فقالوا هٰذآ إلٰهكم وإلٰه موسىٰ فنسى**﴾[٩]

(جـ) ـ وفي موضع ثالث يحدثنا القرآن الكريم عن نسيان موسى عليه السلام وفتاه للحوت، وقد كان نسيانه أمارة، وميقاتاً للالتقاء بالعبد الصالح، ولا يذكر أنه نسي إلا عندما يحل وقت الغداء، ويفتقد فتاه الحوت فلا يجده، ويتصور أن نسيانه من عمل الشيطان، ولكن موسى يكشف الحقيقة لفتاه، وأن ماحدث هو بغيتهما، وارتدا إلى مجمع البحرين، والتقيا بالعبد الصالح الذي وعد موسى بلقياه، يقول تعالى: ﴿**فلمَّا بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتَّخذ سبيله في البحر سربًا. فلمَّا جاوزا قال لفتاه ءاتنا غدآءنا لقد لقينا من سفرنا هٰذا نصبًا. قال أرءَيت إذ أوينآ إلى الصخرة فإنّى نسيت الحوت ومآ أنسانيه إلَّا الشيطان أن أذكره واتَّخذ سبيله في البحر عجبًا**﴾[١٠]

---

(٧) الكهف، الآية [٧٣].

(٨) مريم، الآية [٢٣].

(٩) طه، الآية [٨٨].

(١٠) الكهف، الآيات [٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٣].

بهذه الصور الثلاث المتقدمة كان تناول القرآن الكريم للنسيان الذي هو ظاهرة إنسانية لها صفة العموم والانتشار، ولها صفة القهر والإلزام، ومن هنا رفع الشارع الحكيم مسئولية البشر عما يحدث في ظلال هذا النوع من النسيان.

والنوع الثاني: النسيان المقصود :

وهو نسيان الغفلة عن الواجب، وإهمال المسئوليات، وهو أكثر النوعين وروداً في القرآن الكريم. تناول أنواعه، وحلل أسبابه، وحذر من مغبته، وبين عقوبته.

وتناول القرآن الكريم له بهذه الكثرة؛ لأنه ظاهرة بشرية منحرفة تحتاج إلى تحليل وعلاج، وللشارع الحكيم منها موقف يحتاج إلى بيان وتفصيل. ولهذا أولاها الكتاب العزيز اهتماماً بالغاً، لما لها من خطورة بالغة تهدد الدين السماوي، وتنحرف بالبشرية عن هديه وهداه.

ومن هنا ورد الحديث عن هذا النوع في أربعة وثلاثين موضعاً من كتاب الله وكل ماورد في هذه المواضع من نسيان يحمل طابع الغفلة عن واجب، أو التنصل من تبعة، أو الإهمال لمسئولية لا ينبغى أن تهمل بحكم ماتلزم به عقيدة الإيمان.

ويمكن أن يصنف هذا النوع تصنيفاً يجعل من الآيات التي وردت فيه موضوعًا متكاملاً.

(١) ـ مظاهر النسيان المنحرف واتجاهاته
(٢) ـ تحليل أسبابه
(٣) ـ عقوبته
(٤) ـ العلاج الذي وضعه القرآن له

(١) ـ مظاهر النسيان المنحرف واتجاهاته

يتخذ هذا اللون من النسيان عدة مظاهر تؤكد انحرافه عن سنن النسيان البشري الذي رفعت المسئولية عن صاحبه، وذلك لأن هذه الظواهر تؤكد أن للإنسان قصدًا وإرادة على نحو من الأنحاء وأن ما يتورط فيه الإنسان من أعمال نتيجة له إنما هو شيء مراد.

وهذه هي مظاهره:

(أ) ـ **نسيان الذنوب والخطايا:**

إذا وقع الإنسان في الذنب أو هوى إلى الخطيئة لأول مرة فله عذره، والخطأ من حقه؛ لأن وراءه نوازع بشرية عميقة التأثير في توجيه السلوك، ولذا فإنه إذا تاب قبل الله توبته، وفرح بأوبته على أن يظل هذا الذنب الذي اقترفه درسًا يضيفه إلى تجاربه التي تحدد في الحياة فاعليته ومسلكه.

أما إذا نسي تجربة الذنب فستنتكس حياته، ويتعثر سلوكه، ويظل يهوى مع هواه حتى يكون من الغاوين. وهذه هى صفته كما عرضها القرآن الكريم.

يقول الله تعالى: ﴿**ومن أظلم ممَّن ذكِّر بـَٔايٰت ربِّه فأعرض عنها ونسي ماقدَّمت يداه**﴾[11] فأسلوب الآية يشير إلى أن أشد الناس ظلماً ذاك الباغية المنحرف، الذي يذكر بآيات الله فى كتابه وفي الحياة، فيعرض عن الذكرى، وينسى ماتورط فيه من ذنوب وآثام، ومن هنا استحق ما وصف به في آخر الآية ﴿**إنَّا جعلنا علىٰ قلوبهم أكنَّةً أن يفقهوه وفِيٓ ءَاذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدىٰ فلن يهتدوٓاْ إذاً أبداً**﴾[12].

وإذا كان في طبع الآثم نسيان ذنبه، فهذا النسيان دعامة انحرافه، ومن هنا يكشف القرآن الكريم هذه الظاهرة في سلوك طائفة أخرى من الآثمين الذين هووا في وادي الشرك السحيق، إذ ذكروا ربهم في الضراء، ونسوا أنهم أشركوا به في السراء، فيقول تعالى: ﴿**قل أرءَيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم السَّاعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين. بل إيَّاه تدعون فيكشف ماتدعون إليه إن شآء وتنسون ماتشركون**﴾[13] فالفطرة السليمة التي شوهها الإنسان بانحرافه في السراء تعود نقية صافية، تشد الإنسان المنحرف إلى ربه في الضراء؛ ولهذا ترشد الآية إليها؛ لتؤكد للإنسان أن نداء الفطرة السليمة أهدى وأقوم.

---

(١١) الكهف، من الآية [٥٧].

(١٢) الكهف، من الآية [٥٧].

(١٣) الأنعام، الآيتان [٤٠ ـ ٤١].

على أن الحقيقة التى ينبغي أن يذكرها الآثم أنه إن نسي فاستمرأ بالنسيان إثمه، فإن وراءه الرقيب الذى يحصي عليه ماقد نسيه، يقول تعالى: ﴿**يوم يبعثهم الله جميعاً فينبِّئهم بما عملوٓاْ أحصاه الله ونسوه والله علىٰ كلِّ شيء شهيد**﴾(١٤).

(ب) ـ **نسيان يوم القيامة** :

يوم القيامة الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، حيث يجد كل إنسان طائره في عنقه، ويقرأ بنفسه صحائف أعماله، ويرى بعينه مصيره، وهو اليوم الحق، حيث يفصل فيه بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، وينتهي أمر الباطل إلى جحيم، وينعم المتقون في دار النعيم.

وقد عني القرآن الكريم بعرض مشاهد شتى من ذلك اليوم.

وطالما كان المؤمن على ذكر لذلك اليوم سيتخذ منه حافزًا يدفعه إلى الخير، وينأى به عن الضلال، ويثبته على طريق الهداية.

ولذا نجد في أكثر من آية في كتاب الله دعوة إلى اتقاء ذلك اليوم، ومافيه من أهوال وبلاء وإذا نسي الإنسان ذلك اليوم، فلم يعمل له حسابه، فنسيانه بادرة إلى الانحراف الذي ينتهي بالإنسان إلى ضلال.

وها هو موقف الناس ليوم القيامة يعرضه القرآن الكريم في عدة صور.

يقول تعالى عن الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، وغرهم مافي دنياهم من زخرف ومتاع ﴿**فاليوم ننساهم كما نسوٓاْ لقآء يومهم هٰذا وما كانوا بـَٔايٰتنا يجحدون**﴾(١٥) فجزاؤهم عند الله إذن إهمال ووبال؛ لأنهم نسوا يوم القيامة، فلم يقدموا في دنياهم عملاً ينفعهم. والهوىٰ يهوي بصاحبه، ويضله، فينسيه يوم الجزاء. بما يقدم له من شواغل صارفة، يقول تعالى في نصح نبيه داود عليه

---

(١٤) المجادلة، الآية [٦].

(١٥) الأعراف، من الآية [٥١].

السلام: ﴿**ولا تتَّبع الهوىٰ فيضلَّك عن سبيل الله إنَّ الَّذين يضلُّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**﴾[١٦]

فالضالون عن سبيل الله سر ضلالهم نسيانهم يوم الجزاء، وهذا النسيان سر آفة الإنسان وضلاله، ولذا عندما يقف المجرمون ناكسي رءوسهم عند ربهم، وقد رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم مانسوه من حقائق ذكروا بها في دنياهم فلم يتذكروا، عند ذاك يدعون إلى العذاب الذي عرفوا يومئذ سبب وقوعهم فيه ﴿**فذوقوا بما نسيتم لقآء يومكم هٰذآ إنَّا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون**﴾[١٧]

وفي آية أخرى يقال لهؤلاء الذين نسوا مالا ينبغي أن ينسى: لقد نسيتم يوم الجزاء، فكان أعدل جزاء لكم ماتلقونه في هذا اليوم من إهمال وازدراء ﴿**وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقآء يومكم هٰذا ومأواكم النَّار ومالكم من نَّاصرين**﴾[١٨].

(جـ) ـ نسيانهم لله

هذان النوعان السابقان من النسيان: نسيان الذنوب، أو نسيان يوم المصير، آفتهما أن أولهما يحمل معنى عدم الاستفادة من التجربة، وثانيهما يحمل معنى عدم الاعتداد بالدافع، أما هذا النوع الثالث، وهو الذي يتعلق بالله فهو الشر بذاته؛ لأنه يعني تقلص ظل الإيمان من نفوس البشر؟ إذ لايمكن أبدًا أن يصح إيمان، أويستقيم على أساسه سلوك مالم يكن القلب مشغولاً بذكر الله منصرفًا إلى مايهيئه له الذكر من مراقبة دقيقة لخالقه ومولاه.

وهذا النسيان قد يتعلق بأمر الله أو عهده.

وقد يكون تعلقه بذات الله.

وقد يكون النسيان لذكر الله الذي يجب أن يكون سلاحًا للمؤمن يشهره في وجه الشيطان إذا أراد أن يهوي في مزالق الخسران.

---

(١٦) سورة ص، من الآية [٢٦].

(١٧) السجدة، من الآية [١٤].

(١٨) سورة الجاثية، الآية [٣٤].

أما الأول منها: فقد عهد الله لآدم ألاّ يأكل من شجرة بعينها، وحذره من وسوسة الشيطان وإغراءاته، ونسي آدم عهده مع ربه، وذهب عنه العزم الذي يثبت اليقين في أحلك الظروف، يقول الله تعالى، يعرض لنا هذا الموقف ﴿**ولقد عهدنآ إلىٰٓ ءادم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا**﴾[١٩]

ثم نجد الآيات التالية تسجل أن هذا النسيان كان لونًا من الانحراف ﴿وعصىٰٓ ءادم ربَّه فغوىٰ﴾ وأن الله تاب على آدم وغفر له ﴿**ثم اجتباه ربُّه فتاب عليه وهدىٰ**﴾.

وأما الثانى: فقد أشار إليه القرآن الكريم، وهو بصدد الحديث عن المنافقين؛ إذ وصفهم بأنهم نسوا الله فيقول: ﴿**نسوا الله فنسيهم إنَّ المنافقين هم الفاسقون**﴾[٢٠]

ووقوع ظاهرة النسيان منهم على الله دلالة بليغة على خفوت حرارة العقيدة، وتبلد عاطفة الإيمان وصيرورتها مجرد دعوى بلا واقع إذ أن كل مافى الإنسان من جارحه، وماحوله من آيات فى السموات والأرض تذكره بالله، فكيف ينساه؟ إنه شأن المنافقين، ظاهرهم الذكر، وباطنهم الغفلة، ومن طبعهم الكذب، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك اللون من النسيان فى موضع آخر يحذر فيه المسلمين من سلوك المنافقين إذ يقول الله تعالى لهم: ﴿**ولا تكونوا كالَّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولٰٓئك هم الفاسقون**﴾[٢١].

وكأن هذا النسيان من شأن المنافقين وحدهم، إذ أن سلوكهم يقوم على نسيان بارئهم والحرص على شهواتهم، وتضليل الناس من حولهم.

وثالث الأنواع من هذا النسيان الذي يتصل بالله: نسيان ذكر الله.

ومعنى هذا النسيان افتقاد سلاح لايستقيم أمر المؤمن في الحياة بدونه؛ إذ يقيه من الإغواء، ويثبته في مواقف الإغراء، ويحفظه من همزات الشياطين؛ ولذا جعل

---

(١٩) سورة طه، الآيات [١١٥] وما بعدها.

(٢٠) التوبة، من الآية [٦٧].

(٢١) الحشر، الآية [١٩].

القرآن الكريم ذكر الله صفة للمتقين الذين تتجه هممهم إلى خشية الله ومراقبته إذ يقول تعالى: ﴿**إنَّ الَّذين اتَّقوا إذا مسَّهم طَيْف من الشَّيطان تذكَّروا فإذا هم مُبصرون**﴾(٢٢) كما يقول تعالى: ﴿**والَّذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموآ أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم**﴾(٢٣) ومن هنا كان نسيان الذكر مباءة للفساد، ويزيد من فرص الانحراف في أمور الدنيا، وعن أوامر الدين.

وهذا هو شأن من نسوا ذكر الله، توضحه عدة آيات، وفي كل آية منها إشارة إلى باعث لهذا النسيان وهو إما استهواء الشيطان، أو استعلاء الإنسان، أو غرور لايسمح بفهم واقعه البشري، فيذكر ماديته وينسى ذكر ربه.

ولكون الآيات التى تتناول نسيان الذكر تعنى بتحليل أسباب هذه الظاهرة سأتناول هذه الآيات عند تناولي لأسباب هذه الظاهرة بعد قليل.

واقتران نسيان الذكر بتحليل بواعثه، وبيان أسبابه دلالة على خطورة هذا النوع الذي يصرف الفكر عن ربه ويدفع الإنسان إلى مهاوي الضلال.

بواعث النسيان:

عندما يكون النسيان مجرد ظاهرة بشرية، فبواعثه حينذاك نفسية بحتة، تنبع من داخل الإنسان، وتتمشى مع فطرته الإنسانية في استواء، ليس فيه شذوذ أو نشاز أو التواء.

وهذه البواعث خارجة عن دائرة هذ البحث، ومجال دراستها بحوث علماء النفس. ولايعنى القرآن الكريم في هذه الناحية الإنسانية إلا بتسجيل ظواهرها، أما تحليل الأسباب فرب العالمين خلق الإنسان، ويعلم ماتوسوس به نفسه، ويفرض عليه من السلوك ماينسجم مع بشريته، وتعليل الظواهر البشرية الثابتة لايفيد الإنسان في تدينه أي في علاقته بخالقه ومولاه.

---

(٢٢) الأعراف، الآية [٢٠١].

(٢٣) آل عمران، من الآية [١٣٥].

أمـا النسيان المنحرف فهو الذي تعرضت له الآيات لما وراءه من بواعث لأنها تنبع من خارج الإنسان، أو من داخله الذي خالف عن نداء الفطرة القويم، وذكر البواعث حينذاك علامات هادية للإنسان على الطريق.

وهذه هى الأسباب:

في مقـدمتهـا الشيطان، وقد نسب إليه القرآن الكريم شغل الإنسان عن ربه، وصرفه عن ذكره، وذلك في عدة مواطن:

فيوسف في سجنه وقد طال به الأمد، وفي نفسه شعور صارخ بالظلم، وسجنه هو البديل الوحيد للرذيلة التي تطارده، طلب إلى أحد رفيقيه ـ وقد يسرت له النجاة ـ أن يذكره عند الملك ونسي يوسف رب الملك!! إذا لانجاة له إلا بتقديره، ولكن الشيطان قد ينـال من الإنسان وهو يعانى من ضراوة الامتحان، قال تعالى ﴿**وقال للَّذي ظنَّ أنَّه ناجٍ مِّنهما اذكرني عند ربِّك فأنساه الشَّيطان ذكر ربِّه فلبث فى السجن بضع سنين**﴾[٢٤]

وكان مكثه في السجن لمسة عقاب على غفوة يسيرة تولى أمرها الشيطان.

وفى حديث القـرآن الكـريم عن المنحـرفين عن سنن الإسلام إما بفساد في العقيدة، أو انحـراف فى السلوك نجـد تعليلا لذلـك يتمثـل فى تسلط الشيطان عليهم، وسيطرتـه على نفوسهم، فأنساهم خالقهم وبذلك تم لهم الانغماس فى ضلالهم، يقول تعالى: ﴿**استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله أولَـٰئِك حزب الشَّيطان ألآ إنَّ حزب الشَّيطان هم الخاسرون**﴾.[٢٥]

والشيطان وهـو يؤدي رسـالة الشر في البشرية لايقصر جهده على الأشرار فهم جنـوده، وقد فرغ منهم، ولكنه يبحث عن ضالته في السائرين على طريق الرشاد يحاول جذبهم إليه، وقد تبلغ به الوقاحة مبلغاً كبيراً، فيطمع في أن ينال فرصة من رواد البشـرية، وأنّى له ذلك؟! ولذا يقول الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام:

---

(٢٤) يوسف، الآية [٤٢].

(٢٥) المجادلة، الآية [١٩].

مذكـراً ومحذراً، يذكـره بمحاولات الشيطان جذبه إليه في مجالس هؤلاء الضالين ويحـذره من الجلوس معهم أكثـر من فتـرة التـذكير والتـوجيه ﴿**وإذا رأيت الَّـذين يخـوضـون فِيَ ءايـاتنا فأعرض عنهم حتَّىٰ يخوضوا في حديث غيره وإمَّا يُنسينَّك الشَّيطان فلا تقعد بعد الذكرىٰ مع القوم الظَّالمين**﴾[٢٦]

والغرور هو ثانى الأسباب:

وهو أن يسيء الإنسان فهم نفسه، بأن ينسى الأصل الذي منه نشأ، أو ينسى أن الأيام تدول، وأن النعم تزول، وأن النعمة قد تصير شقاء، والجاه قد يتحول إلى بلاء.

وسوء الفهم الذى يوجد الغرور هو الذي ينسي الإنسان هذه الحقائق الثابتة من سنن الله في الحياة.

فأبي بن خلف عندما وقف موقف التحدي من النبي ﷺ، منكرًا في تهكم عقيدة البعث ويأتي بعظام بالية ويفتتها بيده ويقول: أترى يامحمد أن الله يحيي العظام بعدما رمت؟!! من غير شك أن أبياً في موقفه الذي تبدو منه حماقة البغى، وشراسة الجحود لم يدر بخلده الماء المهين الذي خلق منه!! ولو تذكره لراجع نفسه مرات قبل أن يقول ماقال: وهذه هي الحقيقة التي يسجلها القرآن الكريم: ﴿**وضرب لنا مثلاً ونسي خَلقه قال من يُحيي العظام وهي رميم.قل يحييها الذيّ أنشأها أوَّل مرَّة وهو بكلِّ خلق عليم**﴾[٢٧]

فالغرور أنسى أمية إحدى بديهيات الوجود حتى تورط فيما تورط فيه من كفران وجحود. والنعمة تأتي للإنسان بما وراءها من بهجة ومتاع، فيعيش عيشة الرغد، ويرفـل في أفخـر الثياب، وينعم في سلطان المـال والجاه، وينسى أسس شقائه وبلائه، وفقره وبأسائه.

---

(٢٦) الأنعام، الآية [٦٨].

(٢٧) يس، الآيتان [٧٨ - ٧٩].

إن الإنسان المغرور، يفزع إلى ربه في الضراء، وينسى ضراعته فى السراء ﴿**وإذا مسَّ الإنسان ضرٌّ دعا ربَّه منيباً إليه ثم إذا خوَّله نعمةً منه نسى ماكان يدعوٓاْ إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضلَّ عن سبيله قل تمتَّع بكفرك قليلا إنَّك من أصحاب النَّار**﴾[٢٨]

فغرور الإنسان أنساه صاحب الحق، فضل السبيل إليه وأشرك.

وكم يؤدى غرور الإنعام بالإنسان إلى مهاوى الكفران عندما ينسى ماكان فيه من عسر وماصار إليه من يسر.

ويوم القيامة سيبرأ المعبودون من العبيد أمام رب الأرض والسماء، معللين انحراف من عبدوهم بأن متاع النعمة أنساهم فضل المعبود الواحد، يقول تعالى: ﴿**ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادي هٰؤلآء أم هم ضلُّوا السبيل. قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنآ أن نَّتَّخذ من دونك من أوليآء ولكن مَّتَّعتهم وءَابآءهم حتىٰ نسوا الذِّكر وكانوا قوما بورًا**﴾[٢٩]

ومن عجب أن تكون نعمته سببًا لجحود فضله، والغفلة عن ذكره، ثم ضلالهم طريق الوصول إليه.

وثالث الأسباب: شهوة التسلط عندما يشعلها إمعان الأتباع في الخضوع.

قد يجد المغرور من يستخزي لكبريائه، وينصاع لغلوائه، ويستذل لبغيه، فيغريه ذلك بمزيد من الطغيان، ويسمع كلمات الثناء، وعبارات التمجيد من أفواه العبيد، فيتصور أنه كبير وينسى أن فوقه الكبير المتعال.

وعندما وجد فرعون من يستذلهم أنساه ذل العبيد أنه عبد مثلهم، وصدق رب العالمين إذ يقول: ﴿**وجعلنا بعضكم لبعضٍ فتنةً**﴾[٣٠]

---

(٢٨) الزمر، الآية [٨].

(٢٩) الفرقان، الآيتان [١٧، ١٨].

(٣٠) الفرقان، من الآية [٢٠].

تتجلى حقيقة هذا السبب في قوله: ﴿**إنَّه كان فريق مِّن عبادى يقولون ربَّنآ ءامنَّا فَاغْفِـر لنـا وارْحَمنـا وأنت خير الرَّاحمين. فاتَّخذتموهم سِخريّاً حتىّ أنسوكم ذكرى وكنتم مِّنهم تضحكون**﴾[٣١] فكما يحاول الفاتن أن يصرف مفتونه عن دينه، ويبعده عن ربه نرى المفتون من ناحية أخرى ينسى فاتنه ذكر ربه عندما يظن سكوته عنه انصياعًا له وذلاً له، فيغريه ذلك بمزيد من التجاوز والشطط.

عقوبة النسيان نسيان:

هؤلاء الذين وقعوا مطية للنسيان المنحرف الذي حللنا أسبابه، كيف قوم القرآن موقفهم؟ وماذا قال في عقوبتهم؟

إن سنة الله في عباده، وقانونه في خلقه: الجزاء من جنس العمل، فمن نسى ينسى ونسيان الله لعبـده يعني أنـه في موقف الطرد من رحمته، والبعد عن مغفرته، وأنه موكول إلى نفسه؛ ولذا فشقاء الحياة ينتظره، وبؤسها سيلاقيه.

وهذه هى الآيات التى تشير إلى عاقبة النسيان الخاطىء، يقول تعالى: ﴿**فاليوم ننساهم كما نسوا لقآء يومهم هٰذا وما كانوا بَايٰتنا يجحدون**﴾[٣٢] ﴿**نسوا الله فنسيهم إنَّ المنـافقين هم الفاسقون**﴾[٣٣] ﴿**قال كذٰلك أتتك ءاياتنا فنسيتها وكذٰلك اليوم تنسىٰ**﴾[٣٤] ﴿**ولاتكونوا كالَّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم**﴾[٣٥] وفي هذه الآية الأخيرة لون آخـر من العقـوبـة، وهو أن من نسى ربه يوكل الله به ظاهرة النسيان البشري بصورة غير طبيعية تجعل حياته لاتحتمل، ويقضي أيامه في الحياة بدون ذاكرة.

﴿**وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقآء يومكم هٰذا**﴾[٣٦]

---

(٣١) المؤمنون، الآيتان [١٠٩ - ١١٠].
(٣٢) الأعراف، من الآية [٥١].
(٣٣) التوبة، من الآية [٦٧].
(٣٤) طه، الآية [١٢٦].
(٣٥) الحشر، من الآية [١٩].
(٣٦) الجاثية، من الآية [٣٤].

وفي مثل هذه الآية كانت عقوبة النسيان من أجل نسيانهم يوم اللقاء. ونسيان يوم اللقاء يعني نسيانهم الملك الحق الذى جعل هذا اليوم فيصلاً بين العباد.

هكذا تؤكد الآيات السابقة كلها بأوضح عبارة وأجلى بيان أن عقوبة النسيان نسيان.

والنسيان الـذي هو عقـوبة ليس كالنسيان الذى هو خطيئة لكنها المشاكلة في التعبير، وهي من خصـائص بلاغـة القرآن، جاءت لتؤكد حتمية القانون الإلهي، واستمراريته، وهو أن جزاء العامل من جنس عمله.

الذكر فى القرآن

ماصلة حديث الذكر بحديث النسيان؟

إذا ذكرت ربك بصدق طهرت القلب من شواغله، وأخلصته لبارئه، وأنقذته من أدواته وحرسته من بواعث النسيان الضال التى أسلفناها، وكنت على ذكر دائم لربك تنقشع أمامه بواعث الغفلة مهما كثرت.

وقد قدم لك القرآن العلاج من هذه الآفة القاتلة، المدمرة للعقيدة والسلوك فى آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿**واذكر رَّبَّك إذا نسيت وقل عسىٰ أن يهدين ربي لأقرب من هٰذا رشدا**﴾(٣٧) الذكر علاج للنسيان والغفلة. هذه واحدة.

وهناك أمر آخر يدعونا إلى الحديث عن الذكر بعد النسيان، وهو أن الحديث عن معنى من المعاني يسوق إلى الحديث عن مقابله، وتناول المعاني المتقابلة يزيدها وضوحًا، ويكسبها في النفس بلاغًا، وبضدها تتميز الأشياء.

ألفاظ الذكر في القرآن وأوضاعها اللغوية والنحوية:

وردت ألفـاظ الـذكـر في القـرآن في نحـو مائتي موضع، مختلفة الاشتقاق، والموضع الإعرابى ونوع الضمائر الملحقة بها وفي التجرد والزيادة.

---

(٣٧) الكهف، من الآية [٢٤].

وقد رأيت أن الصيغة الثلاثية للذكر (ذكر) ومشتقاتها المختلفة تستعمل في معان معينة بينما الصيغ المزيدة تستخدم استخدامًا آخر.

فالذكر صورة حاضرة ماثلة في الذهن.

والتذكرة استحضارها بعد النسيان.

والتذكير حفز الغير على ذلك الاستحضار.

ولنبدأ بالحديث عن الذكر، ومايشتق من مادته من صيغ ثلاثية.

وردت الصيغة الثلاثية للذكر من عدة صور متباينة، وفي معان متنوعة

- جاءت بالصيغة الفعلية (ذكر ـ يذكر ـ اذكر) مراداً بها الحديث.
- وجاءت بالصيغة الاسمية مراداً بها الشرف أو الشأن، ومراداً بها العلم، ومراداً بها الكتاب المنزل أو النبى المرسل.
- وتناوله القرآن بالصيغة الفعلية واقعا على لفظ الجلالة، وبالصيغة الاسمية مضافاً إليه مثل: ذكروا الله ـ يذكرون الله ـ اذكروا الله ـ ذكر الله.
- وبنفس الصيغتين واقعًا على لفظ الرب أو مضافًا إليه.
- وبالصيغة الفعلية واقعا على اسم الله تعالى مثل: ﴿**وذكر اسم ربِّه فصلَّىٰ**﴾[٣٨]

والذكر في الحالات الثلاث الأولى يدخل فى دائرة الاستعمال اللغوي فحسب، وفي الحالات الأربع الأخيرة مقصور على العبودية الخالصة، والارتباط الوثيق بالله.

الذكر بمعنى الحديث:

تناول الإنسان لأمر من الأمور بلسانه يعني إخراجه من دائرة النسيان إلى عالم الشهود وقد ورد الذكر بهذا المعنى في ستة مواضع، منها مافيه تكريم، ومنها مافيه تحذير.

فقد ذكر النبي ﷺ الأصنام التي ضل بها قومه، وقالوا عنه كما حكى القرآن الكريم ﴿**أهٰذا الَّذي يذكر ءالهتكم**﴾،[٣٩]

---

(٣٨) الأعلى، الآية [١٥].

(٣٩) الأنبياء، من الآية [٣٦].

وذكر إبراهيم الأصنام التي ضلت بها شيعته، وقالوا عنه كما حكى القرآن ﴿**سمعنا فتى يذكرهم يقال لهآ إبراهيم**﴾[٤٠]

وطلب يوسف من رفيقه في السجن أن يذكره عند الملك ﴿**وقال للَّذي ظنَّ أنَّه ناجٍ مِّنهما اذكرني عند ربِّك**﴾[٤١]

وظل يعقوب يذكر يوسف كثيراً حتى لامه فى إشفاق، أو أشفق عليه فى لوم بنوه الآخرون ﴿**قالوا تاللَّه تفتؤاْ تذكر يوسف حتَّىٰ تكون حرضًا أو تكون من الهالكين**﴾[٤٢]

وإذا تحدث القرآن عن الجهاد، وذكر في آياته اسم القتال فزعت قلوب المنافقين وزاغت أبصارهم ﴿**فإذآ أنزلت سورة مُّحكمة وذكر فيها القتال رأيت الَّذين في قلوبهم مَّرض ينظرون إليك نظر المغشيِّ عليه من الموت**﴾[٤٣]

والإنسان قبل أن يوجد، أو يولد لم يكن شيئًا ذا بال يستحق أن يتحدث عنه، فهو كما قال تعالى ﴿**هل أتىٰ على الإنسان حين مِّن الدَّهر لم يكن شيئًا مَّذكوراً**﴾[٤٤]

الذكر بمعنى الشأن والشرف:

وقد امتن على نبيه برفعة الشأن وعلو المظهر، ونباهة الذكر، فقال تعالى: ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾[٤٥] كما شرف العرب برسالة الإسلام فيهم، ونزول القرآن بلغتهم ﴿**لقد أنزلنآ إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون**﴾[٤٦]

---

(٤٠) الأنبياء، من الآية [٦٠]
(٤١) يوسف، من الآية [٤٢].
(٤٢) يوسف، الآية [٨٥].
(٤٣) محمد، من الآية [٢٠].
(٤٤) الإنسان، الآية [١].
(٤٥) الشرح، الآية [٤].
(٤٦) الأنبياء، الآية [١٠].

الذكر بمعنى العلم:

والعلم أصول وقواعد مستحضرة في أذهان البشر، يواجهون بها مشكلات الحياة والوجود والعالمون بها هم أقدر الناس على بذل العون لغيرهم ممن لايعلمون، ولذا كان توجيه القرآن الكريم لغير العالمين أن يسألوا العالمين الذاكرين لهذه الأصول، يقول تعالى: ﴿**فَسْئَلُوٓاْ أهل الذِّكر إن كنتم لا تعلمون**﴾(٤٧).

ووعد النبي ﷺ قومه بشيء من العلم عن ذي القرنين عندما سألوه عنه: قال تعالى ﴿**ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلواْ عليكم مِّنه ذكرًا**﴾(٤٨)

وطلب الرجل الصالح من موسى عليه السلام أن يلوذ بالصمت حتى يذكر له فيما بعد، شيئًا من علم ذلك ﴿**قال فإن اتَّبعتني فلا تسئلني عن شيء حتىٰ أحدث لك منه ذكرا**﴾(٤٩).

ومن أهداف عروبة اللسان القرآني أن يقود قلوب العرب فى رفق إلى الخوف من بارئها العظيم، ويمنحها العلم به ﴿**وكذٰلك أنزلناه قرءاناً عربيًّا وصَّرفنا فيه من الوعيد لعلَّهم يتَّقون أو يحدث لهم ذكرًا**﴾(٥٠) ويعلل الضالون لانحرافهم عن منهج الإخلاص بافتقادهم شيئًا من العلم الذي هدي به السابقون، أو من التجارب التي مروا بها، وهو استنتاج دقيق منهم، لكن بعد فوات الأوان ﴿**لو أنَّ عندنا ذكراً مِّن الأوَّلين لكنَّا عباد الله المخلَصين**﴾(٥١)

الذكر بمعنى الكتاب المنزل أو النبى المرسل:

الكتاب المنزل مبادىء قويمة، وشرائع مستقيمة، ونصح رشيد، وتوجيه سديد، ولا عجب فهو كتاب رب العالمين الذي خلقهم، ويعلم مايصلحهم ويسددهم،

---

(٤٧) الأنبياء، من الآية [٧].

(٤٨) الكهف، الآية [٨٣].

(٤٩) الكهف، الآية [٧٠].

(٥٠) طه، الآية [١١٣].

(٥١) الصافات، الآيتان [١٦٨، ١٦٩].

وعلى قدر بشريتهم شرع لهم من الدين ماوصى به رسله جميعًا ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللَّطيف الخبير**﴾[٥٢]

والكتـاب المنـزل ذكر؛ لأنه يضع أمام ذاكرة البشر هذه المبادىء التي تحكم الحياة، وتقود السلوك، إنه ذكر حكيم، وذكرى للمؤمنين.

وقد جاء الذكر بهذا المعنى في واحد وثلاثين موضعًا من القرآن الكريم، من هذه المواضع ما كان الذكر فيه بمثابة العلم على القرآن ﴿**وقالوا يَاأيُّها الَّذي نُزِّل عليه الذِّكر إنَّك لمجنون**﴾[٥٣] ﴿**إنَّا نحن نزَّلنا الذِّكر وإنَّا له لحافظون**﴾[٥٤] ﴿**وأنزلنآإليك الذِّكر لتبيِّن للنَّاس ما نزِّل إليهم**﴾[٥٥] ﴿**ولقد كتبنا في الزَّبور من بعد الذِّكر أنَّ الأرض يرثها عبادي الصَّالحون**﴾[٥٦] ﴿**أفنضرب عنكم الذِّكر صفحًا أن كنتم قومًا مُّسرفين**﴾[٥٧] ومعنى هذه الآية أنهملكم فنحرمكم من هدي الكتاب لتجاوزكم حد الاعتدال.

وتتساءل قريش في استنكار: كيف ينزل هذا الذكر على محمد من بينهم؟ ﴿**أَءنزل عليه الذِّكر من بيننا بل هم في شكٍّ من ذكري بل لَّمَّا يذوقوا عذاب**﴾[٥٨] ﴿**أَءلقى الذِّكر عليه من بيننا بل هو كذَّاب أشر**﴾[٥٩] وقد يترك القرآن ببيانه المعجز آثارا في القوم، يندر في قلوبهم حقدًا، وفي أعينهم زيغاً وغيظًا ﴿**وإن يكاد الَّذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذِّكر ويقولون إنَّه لَمجنون**﴾[٦٠].

---

(٥٢) الملك، الآية [١٤].
(٥٣) الحجر، الآية [٦].
(٥٤) الحجر، الآية [٩].
(٥٥) النحل، من الآية [٤٤].
(٥٦) الأنبياء، الآية [١٠٥].
(٥٧) الزخرف، الآية [٥].
(٥٨) ص، الآية [٨].
(٥٩) القمر، الآية [٢٥].
(٦٠) القلم، الآية [٥١].

وتسمية القرآن ذكرًا فيه معنى الاسمية الوصفية، على السواء، غير أنه في بعض المواضع تغلب الاسمية، وفي بعضها تغلب الوصفية.

فالقرآن من أبرز صفاته أنه ذكر، وأن رسالته هي الذكر ﴿**إن هو إلَّا ذكر وقرءان مُّبين**﴾[٦١] ويقول تعالى: ﴿**صٓ والقرءان ذي الذِّكر**﴾[٦٢] ﴿**ذٰلك نتلوه عليك من الأٓيٰت والذِّكر الحكيم**﴾[٦٣] فهو ليس ذكرًا فحسب وإنما هو ذكر محكم يصيب كبد الحقيقة، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويقتحم القلب فيصيب الشغاف، قال تعالى: ﴿**ثمَّ تلين جلودهم وقلوبهم إلىٰ ذكر الله**﴾[٦٤].

وهو ذكر مبارك تسمو به حياة الناس، وينمو في طريق الخير مجتمعهم ﴿**وهٰذا ذكر مُّبارك أنزلناه**﴾[٦٥]

ورسالة الذكر في القرآن تعم الوجود كله ففي أكثر من آية يقول رب العالمين عن كتابه: ﴿**إن هو إلَّا ذكر للعالمين**﴾[٦٦] يوسف، ص، التكوير، الأنعام ﴿**وماهو إلَّا ذكر للعالمين**﴾[٦٧] ومع عمومها تخص العرب بذواتهم يقول تعالى ممتنًا على النبي وقومه ﴿**وإنَّه لذكر لَّك ولقومك وسوف تسئلون**﴾[٦٨] كما يقول: ﴿**وقد ءاتَيْنٰك من لَّدنَّا ذكرًا**﴾[٦٩] ولفظ لدنا: فيه إكبار لهذا الفكر أي إكبار، ولذا ينتقد القرآن انصرافهم عنه، وإعراضهم عن هديه ﴿**أو عجبتم أن جآءكم ذكر مِّن رَّبِّكم علىٰ**

---

(٦١) يس، من الآية [٦٩].
(٦٢) ص، الآية [١].
(٦٣) آل عمران، الآية [٥٨].
(٦٤) الزمر، من الآية [٢٣].
(٦٥) الأنبياء، من الآية [٥٠].
(٦٦) يوسف، من الآية [١٠٤].
(٦٧) القلم، الآية [٥٢].
(٦٨) الزخرف، الآية [٤٤].
(٦٩) طه، من الآية [٩٩].

رجل مِّنكم لينذركم﴾[٧٠] ﴿ما يأتيهم مِّن ذكر مِّن ربهم محدث إلاَّ استمعوه وهم يلعبون﴾[٧١] ﴿وهم بذكر الرَّحمٰن هم كافرون﴾[٧٢] ﴿إنَّ الَّذين كفروا بالذِّكر لمَّا جآءهم وإنَّه لكتاب عزيز﴾[٧٣]

وأكبر خطأ يتورط فيه البشر أن يستبد بهم الغي، فلا ينتفعون بحكمة هذا الذكر.

وهـذا هو الكـافـر يلوم قرين السوء الذي أغواه ﴿لَّقد أضلَّني عن الذِّكر بعد إذ جآءني﴾[٧٤] كمـا يقـول المعبـودون من دون الله، يتبـرءون أمـام ربهم من ضلال عابديهم ﴿ولٰكن مَّتَّعتهم وءابآءهم حتَّىٰ نسوا الذِّكر وكانوا قوما بورًا﴾[٧٥]

والـذي يتبـع الذكر ويهتدي بآثاره هو الذي يستجيب للنذير، ويؤثر فيه التبشير ﴿إنَّما تنذر من اتَّبع الذِّكر وخشى الرَّحمٰن بالغيب﴾[٧٦]

وأروع مافي الذكر القرآني، وكله رائع أنه يحوي خلاصة التجربة البشرية، يقول رب العالمين: ﴿هٰذا ذكر من مَّعي وذكر من قبلي بل أكثرهم لايعلمون﴾[٧٧]

وقد سمى القرآن الرسول «ذكرًا» لأنه يحمل الذكر للبشرية، ويثير ذاكرتها نحو الاتجاه إلى المبادىء السماوية ﴿قد أنزل الله إليكم ذكرًا رَّسولاً يتلواْ عليكم ءَايٰت الله﴾[٧٨].

---

(٧٠) الأعراف، من الآية [٦٣].
(٧١) الأنبياء، الآية [٢].
(٧٢) الأنبياء، من الآية [٣٦].
(٧٣) فصلت، الآية [٤١].
(٧٤) الفرقان، من الآية [٢٩].
(٧٥) الفرقان، من الآية [١٨].
(٧٦) يس، من الآية [١١].
(٧٧) الأنبياء، من الآية [٢٤].
(٧٨) الطلاق، من الآيتين [١٠ ـ ١١].

وفي قسم رب العـالمين بملائكته، وهم العباد المكرمون يشير إلى جانب من فضلهم، وأنهم يتلون الذكر، ويلقونه على رسل الله وأنبيائه يقول تعالى: ﴿**فالتَّٰلِيٰت ذكرًا**﴾[٧٩] ﴿**فالملقيات ذكرًا**﴾[٨٠].

ذكر الله

وهو أرفع مستوى تسمو إليه عقيدة الإنسان؛ لأنه يعني استحضار عظمة الذات الإلهية والإحساس بها فى كل موطن، وفى كل موقف، ومن هنا يكون الذكر جنة للمؤمنين، ومـلاذاً لقلوبهم فلا تعصف بهـا الأهواء، وحصناً حصيناً لإيمانهم فلا يزيغ به شرك أو رياء.

وهذه هي ثمرته: طمأنينة في القلب ﴿**الَّذين ءامنوا وتطمئنُّ قلوبهم بذكر الله. ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب**﴾[٨١].

والأسوة بالنبى ﷺ منهج كريم، لكن الذي يعرف قيمة القدوة، ويحرص عليها من كان رجاؤه فى الله، وثوابه، وكان ذكر الله يملأ جوانب نفسه ﴿**لَّقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لِّمن كان يرجواْ الله واليوم الأَخر وذكر الله كثيرًا**﴾[٨٢]

والذكر صفة للمتقين لأنه باعث التقوى ووسيلتها ﴿**والَّذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموٓاْ أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم**﴾[٨٣] ﴿**إنَّ الَّذين اتَّقوا إذا مسَّهم طيٓف مِّن الشَّيطان تذكَّروا فإذا هم مُّبصرون**﴾[٨٤]

---

(٧٩) الصافات، الآية [٣].

(٨٠) المرسلات، الآية [٥].

(٨١) الرعد، الآية [٢٨].

(٨٢) الأحزاب، الآية [٢١].

(٨٣) آل عمران، من الآية [١٣٥].

(٨٤) الأعراف، الآية [٢٠١].

وذكـر الله سمـة تحكم مسلك العقـلاء، يقـول تعالى ﴿**إنَّ في خلق السَّمٰوات والأرض واختلاف اليَـيل والنَّهار لأٰيت لأولي الألباب الَّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكَّرون في خلق السَّمٰوات والأرض**﴾[٨٥]

وذكر العقلاء لله ـ كما تشير الآية ـ تأمل وتدبر، واستحضار لعظمة الذات، وليس مجرد ترديد عبارات باللسان والقلب عنها في شغل كبير.

والذكر صفة للمؤمنين. . فإذا تحدث القرآن عن الشعراء بأنهم يهيمون في أودية الغى، فمنهم من نأى عن ذلك فنبذ تقاليد الجاهلية، ومقاييسها الفاسدة، واتجه إلى قيم أمثل تصلح الحياة والنفوس، وهؤلاء هم شعراء المؤمنين أو مؤمنو الشعراء وأبرز صفاتهم الذكر الكثير لله، والانتصار لدينه يقول تعالى: ﴿**والشُّعرآء يتَّبعهم الغاوون. ألم تر أنَّهم في كلِّ واد يهيمون. وأنَّهم يقولون ما لا يفعلون. إلَّا الَّذين ءامنوا وعملوا الصَّالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظُلِموا**﴾[٨٦].

ولكـون الـذكر صفة للمؤمن، وسمة للإيمان، وجدنا هذه النداءات فى القرآن الكـريم: ﴿**يٰأيُّها الَّذين ءامنواْ اذكروا الله ذكرًا كثيرًا**﴾[٨٧] ﴿**يٰأيُّها الَّذين ءامنوٓا إذا لقيتم فئـة فاثبتوا واذكروا الله**﴾[٨٨] ذلك لأن الذكر أعظم سلاح يرفع من معنوية المجاهد عندمايشتد البأس، وتحمر الحدق.

ويقول تعالى: ﴿**إنَّما المؤمنون الَّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾[٨٩] ﴿**وبشِّر المخبتين الَّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾[٩٠] ﴿**ألم يأن للَّذين ءامنوٓاْ أن تخشع قلوبهم لذكـر الله**﴾[٩١] واستجابة القلب للذكر وتأثره به دليل على صدق الإيمان، وقوة سلطانه على نفس الإنسان.

---

(٨٥) آل عمران، الآية ١٩٠ ومن الآية [١٩١].

(٨٦) الشعراء، الآية [٢٢٤] وما بعدها.

(٨٧) الأحزاب، الآية [٤١].

(٨٨) الأنفال، من الآية [٤٥].

(٨٩) الأنفال، من الآية [٢].

(٩٠) الحج، من الآيتين [٣٤ ـ ٣٥].

(٩١) الحديد، من الآية [١٦].

وكما أن الذكر سلاح فعال في ميادين القتال هو أيضًا سلاح مؤثر في معترك الحياة، يقول تعالى: ﴿**فإذا قضيت الصَّلوٰة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لَّعلكم تفلحون**﴾[٩٢]

وفي المواقف الصعبة ترى في الذكر تثبيتًا للذاكرين، وبه وصىَّ الله موسى وهارون، وهما ذاهبان لمواجهة فرعون ﴿**اذهب أنت وأخوك بـَايٰتي ولا تنيا في ذكرى**﴾[٩٣]

الذكر عبادة والعبادة ذكر:

ومعنى العبادة لايتحقق إلا به، وهى فى الوقت نفسه وسيلة إليه وأسلوب له.

والصلاة ذكر، والذكر من أعظم ثمراتها ﴿**إنَّ الصَّلوٰة تنهىٰ عن الفحشآء والمنكر ولذكر الله أكبر**﴾[٩٤] ﴿**وأقم الصَّلوٰة لذكرى**﴾[٩٥] ﴿**وأقم الصَّلوٰة طرفي النهار وزلفاً من الَّيل إنَّ الحسنات يذهبن السَّيئات ذٰلك ذكرىٰ للذاكرين**﴾[٩٦].

وفي تناول الصلاة ذكرى وفي أعقابها ذكر ﴿**فإذا قضيتم الصَّلوٰة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم**﴾[٩٧] ﴿**يَٰأيُّها الَّذين ءَامنواْ إذا نودى للصَّلوٰة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع**﴾[٩٨].

والذكر ألزم سلوك لعبادة الحج، ولذا تراه مطلوبا من الحجيج فى كل منسك ﴿**فإذآ أفضتم مِّن عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم**﴾[٩٩] ﴿**فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله**﴾[١٠٠] ﴿**واذكروا الله فيّ أيَّام مَّعدودات**﴾[١٠١].

---

(٩٢) الجمعة، الآية [١٠].
(٩٣) طه، الآية [٤٢].
(٩٤) العنكبوت، من الآية [٤٥].
(٩٥) طه، من الآية [١٤].
(٩٦) هود، الآية [١١٤].
(٩٧) النساء، من الآية [١٠٣].
(٩٨) الجمعة، من الآية [٩].
(٩٩) البقرة، من الآية [١٩٨].
(١٠٠) البقرة، من الآية [٢٠٠].
(١٠١) البقرة من الآية [٢٠٣].

ذكر اسم الله:

وفي نحو أربعة وعشرين موضعًا من الكتاب العزيز ورد الذكر أو مشتقاته واقعًا على اسم الله وتتميز هذه المواضع بأنها عبادات ذات رسوم وحدود، وأن المعنى فيها الإهلال باسم الله، لأنه في هذه المواطن دليل الانصياع، وبرهان الإذعان للخالق العظيم.

فالإهلال بذكر الله في الصلاة ﴿وذكر اسم ربه فصلّى﴾[١٠٢] ﴿ومن أظلم ممَّن مَّنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾[١٠٣] ﴿وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا﴾[١٠٤]

وفي الحج كذلك ترديد لاسم الله تعالى، يقول جل شأنه ﴿ليِّشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فيّ أيَّام مَّعلومات علىٰ مارزقهم مِّن بهيمة الأنعام﴾[١٠٥] ﴿ولكلِّ أمَّة جعلنا منسكًا ليذكروا اسم الله﴾[١٠٦]

وعند الذكاة (الذبح) يتحتم الذكر ﴿فكلوا ممَّا ذكر اسم الله عليه﴾[١٠٧] ﴿فاذكروا اسم الله عليها صوآفَّ﴾[١٠٨] ﴿ومالكم ألاَّ تأكلوا ممَّا ذكر اسم الله عليه﴾[١٠٩]

ويحرم ماذبح من غير ذكر، أو ذكر عليه غير اسم الله تعالى ﴿ولا تأكلوا ممَّا لم يذكر اسم الله عليه﴾[١١٠] ﴿وأنعام لاَّ يذكرون اسم الله عليها افترآءً عليه﴾[١١١].

---

(١٠٢) سبقت.
(١٠٣) البقرة من الآية [١١٤].
(١٠٤) الحج، من الآية [٤٠].
(١٠٥) الحج، من الآية [٢٨].
(١٠٦) الحج، من الآية [٣٤].
(١٠٧) الأنعام، من الآية [١١٨].
(١٠٨) الحج، من الآية [٣٦].
(١٠٩) الأنعام، من الآية [١١٩].
(١١٠) الأنعام، من الآية [١٢١].
(١١١) الأنعام، من الآية [١٣٨].

ويجب الذكر عند وقوع الصيد في قبضة الحيوان المعلم ﴿**فكلوا ممَّآ أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه**﴾[١١٢]

وذكر اسم الله شعار ينبغي للمؤمن أن يرفعه في كل حين ﴿**واذكر اسم ربِّك وتبتَّل إليه تبتيلاً**﴾[١١٣] ﴿**واذكر اسم ربِّك بكرةً وأصيلاً**﴾[١١٤]

هذه هي المواطن التى يحددها القرآن الكريم للذكر القولى: مواطن العبادات، وأوقات الضراعة التى يهتف فيها العبد الخاشع الضارع لائذاً مستجيراً بمن خلقه وسواه، مردداً اسمه وحده في أدب واتزان دون تحريف وإلحاد، يقول تعالى ﴿**أيًّامَّا تدعوا فله الأسمآء الحسنىٰ**﴾[١١٥] وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿**وذروا الَّذين يلحدون فيۤ أسمآئه**﴾[١١٦]

ومن هنا ندرك مدى العبث الذي يتورط فيه بعض هؤلاء الذين يقفون صفوفاً يترنحون ذات اليمين وذات اليسار، يرددون اسم الله بألفاظ غير مفهومة زايلها الوقار والاتزان، زاعمين بهذا أنهم يذكرون الله.. ألا ساء مايصنعون!!

وماعدا مواطن العبادات والضراعة، فالذكر استحضار لعظمة الله، وتأمل وتفكير في آثار قدرته.

واذكر ربك:

وورد الذكر بمشتقاته واقعًا على لفظ الرب في ثمانية مواضع، وهذه المواضع فيها معنى التربية والامتنان، والفضل والإنعام، وهذه ظاهرة تعبيرية واضحة في كل مقام يذكر فيه القرآن لفظ الرب حيث يكون الإشعار بالتربية ألزم وأنسب من الإشعار بالعبودية، ولأن إدراك معنى التربية ـ إذا صدق ـ يوصل إلى العبودية الخالصة.

---

(١١٢) المائدة، من الآية [٤].

(١١٣) المزمل، الآية [٨].

(١١٤) الإنسان، الآية [٢٥].

(١١٥) الإسراء، من الآية [١١٠].

(١١٦) الأعراف، من الآية [١٨٠].

وهـذه الآيات تؤكـد صحة هذا الاستنتاج يقول تعالى: ﴿**وإذا ذكرت ربَّك فى القرءان وحده ولَّواْ علىٰ أدبارهم نفورًا**﴾[117] ﴿**ثمَّ تذكروا نعمة ربِّكم إذا استويتم عليه**﴾[118] ويقول تعالى لعبده زكريا ﴿**واذكر رَّبَّك كثيراً وسبِّح بالعشى والإبكار**﴾[119]

ويقول تعالى: ﴿**واذكر رَّبَّك في نفسك تضرُّعاً وخيفةً**﴾[120] ﴿**واذكر رَّبَّك إذا نسيت**﴾[121] وعن يوسف يقـول تعـالى: ﴿**فأنساه الشَّيطان ذكر ربِّه**﴾[122] وعن سليمان يقـول تعـالى: ﴿**إنِّيٓ أحببت حبَّ الخير عن ذكـر ربِّي**﴾[123] وفي تأنيب الكافرين الجاحدين يقول تعالى: ﴿**بل هم عن ذكر ربِّهم مُّعرضون**﴾[124].

الإعراض عن الذكر.. وآثاره ـ وبواعثه

الإعـراض عن الـذكـر بادرة خطيرة تزعزع بنيان العقيدة، ولذا نرى في القرآن الكـريم تحذيرًا من اللهو الشاغل عنه، ومن كل داعية إلى الانصراف عن هديه. فالذين لا يذكرون هم المنافقون أو الكافرون وكفى!! ﴿**يرآءون النَّاس ولا يذكرون الله إلَّا قليلًا**﴾[125] ﴿**وعرضنا جهنَّم يومئذ للكافرين عرضًا الَّذين كانت أعينهم فى غطآء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعًا**﴾[126]

---

(١١٧) الإسراء، من الآية [٤٦].
(١١٨) الزخرف، من الآية [١٣].
(١١٩) آل عمران، من الآية [٤١].
(١٢٠) الأعراف، من الآية [٢٠٥].
(١٢١) الكهف، من الآية [٢٤].
(١٢٢) يوسف، من الآية [٤٢].
(١٢٣) ص، من الآية [٣٢].
(١٢٤) الأنبياء، من الآية [٤٢].
(١٢٥) النساء، من الآية [١٤٢].
(١٢٦) الكهف، الآيتان [١٠٠ ـ ١٠١].

والذين لا يؤمنون بالآخرة لا يرتاحون إلى الذكر الخالص لله ﴿**وإذا ذكر الله وحده اشمأزَّت قلوب الَّذين لا يؤمنون بالأخرة**﴾[١٢٧] ولقسوة قلوبهم وعدم تأثرها بالذكر استحقوا الويل ﴿**فويل للقاسية قلوبهم مِّن ذكر الله**﴾[١٢٨] .

وفى هذه الآيات تحذير من الصوارف عن الذكر، واتباع الضالين المنحرفين يقول تعالى: ﴿**يَأيُّها الَّذين ءامنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**﴾[١٢٩] ﴿**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتَّبع هواه وكان أمره فرطاً**﴾[١٣٠] ﴿**فأعرض عن مَّن تولَّىٰ عن ذكرنا ولم يرد إلاَّ الحيوٰة الدُّنيا**﴾[١٣١] .

والشيطان أكبر صارف عن الذكر، بل هو الذي ينمي كل الصوارف ﴿**إنَّما يريد الشَّيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضآء في الخمر والميسر ويصدَّكم عن ذكر الله وعن الصَّلَوٰة**﴾[١٣٢] ﴿**استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله**﴾[١٣٣] .

والمؤمنون الصادقون لا تؤثر فيهم هذه الصوارف كما وصفهم ربهم فقال: ﴿**رجال لاَّ تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصَّلوٰة**﴾[١٣٤] .

مصير الغافلين:

والغافلون عن ذكر الله ينتظرهم شقاء الدنيا وبلاؤها، وعذاب الآخرة ونكالها فمن يعم عن ذكر ربه ييسر له شيطانًا فى الدنيا يوغل به في متاهات الإغواء ﴿**ومن يَعْشُ عن ذكر الرَّحمٰن نقيِّض له شيطاناً فهو له قرين**﴾[١٣٥] وفي الآخرة يصف القرآن لنا

---

(١٢٧) الزمر، من الآية [٤٥].
(١٢٨) الزمر، من الآية [٢٢].
(١٢٩) المنافقون، من الآية [٩].
(١٣٠) الكهف، من الآية [٢٨].
(١٣١) النجم، الآية [٢٩].
(١٣٢) المائدة، من الآية [٩١].
(١٣٣) المجادلة، من الآية [١٩].
(١٣٤) النور، من الآية [٣٧].
(١٣٥) الزخرف، الآية [٣٦].

عذابه فيقول: ﴿ومن يعرض عن ذكر ربِّه يسلكه عذاباً صعدًا﴾[١٣٦] وحسب الغافل تعاسة الدارين التي تصفها هذه الآية ﴿ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمىٰ﴾[١٣٧].

وهذه منزلة الذاكرين:

يعدهم الله من بين حملة القيم، وأصحاب المثل السامية كالمسلمين والمؤمنين، والصابرين والصادقين فيقول تعالى: ﴿والذَّاكرين الله كثيرًا والذَّاكرات﴾[١٣٨].. كما يعدهم الله تعالى بأن يذكرهم كما ذكروه ﴿فاذكروني أذكركم﴾[١٣٩].

وذكر الله لعبده تكريم مابعده تكريم.

التذكر والتذكير في القرآن

إذا كان الذكر أمام مرآة الإسلام مقصدًا كريمًا، وبالنسبة لعقيدة الإيمان سياجاً متيناً يحفظ لها وجودها، ويبقى لها قوتها، وعميق تأثيرها، حتى إن القرآن الكريم، كما أوضحنا ـ حرص على أن يبقي هذا المعنى العظيم في سلوك المسلمين.. فهناك بجانب هذا حقيقة يجب ألا نغفلها هي أن الذكر لايبقى، ولايكون له سلطانه إلا بالتذكر، والتذكير، واستمرار الذكرى. ومن هنا كان لهامن عناية القرآن الكريم أوفى قسط، ومن بيانه أوفر نصيب.

وقد عرفنا أن التذكير ينتهي بنا إلى التذكر، والتذكر ثمرته الذكر.

والذكرى موطن العبرة نفسه الباعث على التذكر.

وكأن التذكير والتذكر ـ إذن به بهذه الصورة ـ مرحلتان في طريق الذكر.

---

(١٣٦) الجن، من الآية [١٧].

(١٣٧) طه، الآية [١٢٤].

(١٣٨) الأحزاب، من الآية [٣٥].

(١٣٩) البقرة، من الآية [١٥٢].

فمـا مبلغ عنـاية القـرآن الكـريم بهمـا؟ وكيف تنـاولهمـا؟ وكيف كشف عن أهميتهما؟ وما البواعث التي استخدمها في التذكير لتحمل النفوس على التذكر؟

هذه الأمور سنوضحها في هذه المرحلة من البحث.

التذكير منهج لرسالات السماء:

والتذكير هو المنهج الذي يقوم عليه دين الله، ومن أجله كانت وتعددت رسالات السـماء في شتى مراحل التاريخ، وتحمل الرسل عبء هذا المنهج، ليذكروا البشر بأبعـاد الهـداية، ويدلـوهم على مواطن الخـير في وحى الله ودين السماء، ليستطيع الإنسان تحقيق الرسالة التي أرادها الله له في هذا الوجود.

وتـدرك هذه الأهمية البـالغة للتذكير عندما تقلب صفحات الكتاب العزيز، إذ تستوقفك فى مجال الدعوة إلى التذكير أمور ذات بال.

(١) يدعو رب العالمين نبيه ومصطفاه محمدًا عليه الصلاة والسلام إلى أن يُذَكِّر، ويتذكَّر، أما التذكير فهو جوهر مهمته، ومناط رسالته، ولذا وجهه الله تعالى إليه فى مواطن كثيرة، وأرشده إلى وسائل شتى يستعين بها فى تذكيره سنتناولها فيما بعد.

يقول الله تعالى: **﴿فذكِّر بالقرءان من يخاف وعيد﴾**[١٤٠] **﴿وذكِّر فإنَّ الذِّكرىٰ تنفع المؤمنين﴾**[١٤١] **﴿فذكِّر فمآ أنت بنعمتِ ربِّك بكاهن ولا مجنون﴾**[١٤٢] **﴿فذكِّر إن نَّفعت الذِّكرىٰ﴾**[١٤٣] **﴿فذكِّر إنَّمآ أنت مذكِّر﴾**[١٤٤] **﴿وذكِّر به أن تُبْسَل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولِّي ولا شفيع﴾**[١٤٥] وفى الآية الأخيرة دعوة إلى التذكير بالقرآن مخافة أن ينتهى أمر القوم إلى الهلاك، بما أسلفوه من بغي وانحراف.

---

(١٤٠) ق، من الآية [٤٥].
(١٤١) الذاريات، الآية [٥٥].
(١٤٢) الطور، الآية [٢٩].
(١٤٣) الأعلى، الآية [٩].
(١٤٤) الغاشية، الآية [٢١].
(١٤٥) الأنعام، من الآية [٧٠].

وأما التذكر فقد دعا الله نبيه إليه لأنه سيكون جنة له تحميه من نوازع البشرية، وتضع نصب عينيه مثلاً أعلى من حياة من سبقوه في طريق الدعوة، فيهون أمامه البلاء، ويخف عليه وقع المحن، ويتحمل مئونة الصبر، ومن هنا كان الأمر بالتذكر يدور كله في مجال القصص القرآني.

وقد جاء الأمر في سورة مريم وحدها خمس مرات، يقول تعالى: **﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ ﴿واذكر فى الكتاب إبراهيم﴾ ﴿واذكر فى الكتاب موسىٰ﴾ ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل﴾ ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾**[١٤٦] الآيات.

كما جاء هذا الأمر في أربعة مواضع من سورة ص، تحث النبي عليه الصلاة والسلام على تذكر أنبياء آخرين، سبقوا في الدعوة إلى الله، فيقول: **﴿اصبر علىٰ ما يقولون واذكر عبدنا داوود﴾ ﴿واذكر عبدنآ أيُّوب إذ نادىٰ ربَّه﴾ ﴿واذكر عبادنآ إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ ﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل﴾**[١٤٧] وفي الأمر بالصبر قبل الذكر في الموضع الأول إشارة إلى أن مغزى التذكر أن يصل به النهي إلى قضية الصبر التي بها تنجح الدعوات.

وفي سورة الأحقاف يقول تعالى: **﴿واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾**[١٤٨] وأخو عاد كناية عن نبى الله هود عليه السلام، والأحقاف موضع معروف في الجهة الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية، كما يقول تعالى في صدر الحديث عن موسى عليه السلام: **﴿وما كُنتَ بجانب الطُّور إذ نادَينا ولكن رَّحمة مِّن رَّبِّك لتنذر قومًا مَّآ أتىٰهم مِّن نَّذير مِّن قبلك لعلَّهم يتذكَّرون﴾**[١٤٩].

---

(١٤٦) مريم، من الآيات [١٦، ٤١، ٥١، ٥٤، ٥٦].

(١٤٧) ص، من الآيات [١٧، ٤١، ٤٥، ٤٨].

(١٤٨) الأحقاف، من الآية [٢١].

(١٤٩) القصص، الآية [٤٦].

وفي غير مجال القصص القرآني نجد توجيهًا للنبي ﷺ، يدعوه إلى استلهام الذكرى من حادث عبدالله بن أم مكتوم الذي عبس في وجهه، فقال الله لرسوله بعد عتاب غير يسير ﴿**كلَّا إنها تذكرة. فمن شآء ذكره**﴾[١٥٠]

فالتذكر الذي يحمي البشرية من الهوى وينأى بها عن الزلل، والتذكير الذي هو مهمة ورسالة لم يكونا مقصورين على خاتم الأنبياء وحده. فهذا أمر الله لنبيه عيسى عليه السلام بالتذكر، إذ يقول له: ﴿**اذكر نعمتي عليك وعلىٰ والدتك إذ أيَّدتُّك بروح القدس**﴾[١٥١] وهذا أمر آخر لنبيه موسىٰ بالتذكير: ﴿**ولقد أرسلنا موسىٰ بآيٰتنآ أن أخرج قومك من الظُّلمات إلى النُّور وذكِّرهم بأيَّام الله**﴾[١٥٢] ويحدثنا القرآن عن عتاب نوح عليه السلام لقومه الذين ساءتهم الدعوة إلى الله، والتذكير بآياته: ﴿**يا قوم إن كان كبر عليكم مَّقامي وتذكيري بآيٰت الله فعلى الله توكَّلت**﴾[١٥٣].

ويصف الله تعالى أنبياءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب بصفة اختصهم بها، وهي تذكرهم لدار الجزاء ﴿**إنَّآ أخلصناهم بخالصةٍ ذكرى الدَّار**﴾[١٥٤]

فرسل الله جميعا ذُكِّروا، فتذكروا وقاموا بواجب التذكير كما أمرهم الله، وإن لم تنسب إليهم الألفاظ صراحة بهذه الكثرة كخاتمهم محمد ﷺ.

(٢) الدعوة إلى التذكر في القرآن ملحة تهز عقول البشر هزاً عنيفًا، وتزيح أستار الغفلة التى تلقيها عليها بين الحين والحين نوازع النفوس، ومغريات الحياة، وذلك ليعود للعقل البشري صفاؤه، فيستجيب لدعوة الله، ويذعن لرسالة الحق، تبدو قوة هذه الدعوة إلى التذكر في الأسلوب التي عرضت به الآيات الداعية إليه، إذ في ستة مواطن من القرآن الكريم وردت الدعوة بهذه الصورة: أفلا تذكرون؟ التي تتضمن

---

(١٥٠) عبس، الآيتان [١١ - ١٢].
(١٥١) المائدة، من الآية [١١٠].
(١٥٢) إبراهيم، من الآية [٥].
(١٥٣) يونس، من الآية [٧١].
(١٥٤) ص، من الآية [٤٦].

استنكار الغفلة الصارفة عن استحضار العبرة عندما تمر آية، أو يلم حدث، أو يطوف بالحياة أمر ذو شأن، والذي يلفت النظر، ويشد الانتباه أن هذه المواطن الستة تدور كلها حول التوحيد وتوطيد العقيدة الصحيحة للإسلام في نفوس البشر.

ففي محاجة إبراهيم لقومه يؤكد لهم أنه لا يخشى إلا الله، ثم يقول: ﴿**وسع ربِّي كلَّ شيء علمًا أفلا تتذكَّرون. وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنَّكم أشركتم بالله**﴾[١٥٥]

ويضرب القرآن الكريم مثل الفريقين: الفريق الذي عقل الحق، وعرف العقيدة الصحيحة، والفريق الذي غفل فضل، واتبع هواه، فالأول مثله مثل البصير والسميع، والثاني مثله: مثل الأعمى والأصم، وتنتهي الآية بهذا التساؤل ﴿**هل يستويان مثلًا أفلا تذكَّرون**﴾[١٥٦]

ويرد هود عليه السلام شهوة جامحة لقومه طلبوها في غفلة، من العقل والبصيرة، إذ رغبوا إليه أن يطرد المستضعفين من مجلسه، ليخلو لهم وحدهم مايريدون من شهوة الانفرادية ﴿**ومآ أنآ۠ بطارد الَّذين ءامنوٓا۟ إنَّهم مُّلَٰقوا۟ ربِّهم ولكنِّىٓ أراكم قوما تجهلون، وياقومِ من ينصرني من الله إن طردتُّهم أفلا تذكَّرون**﴾[١٥٧]

وفي موازنة رائعة مقنعة تأخذ بتلابيب النفوس الضالة التي غشيتها سحابة الشرك يقول رب العالمين: ﴿**أفمن يخلق كمن لَّا يخلق أفلا تذكَّرون**﴾[١٥٨]

وفي مساءلة هادية راشدة بين الداعي وقومه، جاءت الدعوة السادسة إلى التذكر يقول تعالى: ﴿**قل لِّمَنِ الأرض ومن فيهآ إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل أفلا تذكَّرون**﴾[١٥٩]

---

(١٥٥) الأنعام، من الآيتين [٨٠ - ٨١].

(١٥٦) هود، من الآية [٢٤].

(١٥٧) هود، من الآيتين [٢٩ - ٣٠].

(١٥٨) النحل، الآية [١٧].

(١٥٩) المؤمنون، الآيتان [٨٤ - ٨٥].

وفي غير هذه المـواطن دعوات كثيرة للتذكر، مقرونة بوسيلة أو الباعث عليها، وقد قدمت للبشرية في ظروف مختلفة حتى تستمر على طريق الحق مسيرتها. يقول تعـالى في تأنيب الغافلين الضالين غداة الحسرة عندما تتبين الحقائق، وينكشف عن العين الغطاء ﴿**أو لم نعمِّركم مَّايتذكَّر فيه من تذكَّر وجآءكم النَّذير**﴾[١٦٠]

وهـذه دعـوة للمسلمين بعد النصر العظيم في بدر لأن يتذكروا ماضيهم الذى عاشوه مستضعفين، مبغياً عليهم، إذ أن هذه الذكرى تحفزهم على الشكر الذى يزيد النعم ويوثق العلاقة بخالقهم العظيم ﴿**واذكروآ إذ أنتم قليل مُّستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطَّفكم النَّاس فـَاوَىٰكم وأيَّدكم بنصره ورزقكم مِّن الطَّيِّبات لعلَّكم تشكرون**﴾[١٦١]

وعلى لسان شعيب عليه السلام جاء النصح لقومه بأن يتذكروا ﴿**واذكروآ إذ كنتم قليلاً فكثَّركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين**﴾[١٦٢] .

وعلى لسان هود وصالح عليهما السلام جاء نفس النصح لقوميهما عاد وثمود، يقـول تعـالى: ﴿**واذكـروآ إذ جعلكم خلفـآء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطَةً**﴾[١٦٣] ﴿**واذكروآ إذ جعلكم خلفآء من بعد عاد وبوَّأكم في الأرض**﴾[١٦٤] .

وفي شأن بني إسرائيل يقول تعالى: ﴿**خذوا مآءاتيناكم بقوَّةٍ واذكروا مافيه لعلَّكم تَتَّقون**﴾[١٦٥]

(٣) وبقدر ماكانت الدعوة إلى التذكر تحمل هذا القدر الكبير من التقدير والاهتمام لمـا في التـذكر من صحوة العقيدة، ويقظة الضمير، بقدر هذا كان التنديد عنيفا

---

(١٦٠) فاطر، من الآية [٣٧].
(١٦١) الأنفال، الآية [٢٦].
(١٦٢) الأعراف، من الآية [٨٦].
(١٦٣) الأعراف، الآية [٦٩].
(١٦٤) الأعراف، من الآية [٧٤].
(١٦٥) الأعراف، من الآية [١٧١].

وقاسيًا بمن غفلوا ولم يعقلوا، وسمحوا لغشاوة النسيان أن تحجب البصيرة، وتتركهم في متاهات الضلال، يتجلى عنف هذا التهديد من حديث القرآن عن المعرضين عن الـذكر، ووصفه لهم، وتقويمه لعقيدتهم، وكشفه عن مصائرهم ﴿**ومن أظلم مِمَّن ذُكِّـر بـِّايَٰت ربِّـه فأعرض عنها ونسي ماقدَّمت يداه**﴾[١٦٦] وفي آية أخرى ﴿**ثمَّ أعرض عنهآ**﴾[١٦٧]

وفي وصف المنافقين يقول تعالى ﴿**أو لايرون أنَّهم يفتنون في كلِّ عام مَّرَّة أو مرَّتين ثمَّ لايتوبون ولاهم يذَّكَّرون**﴾[١٦٨]

وأهـل الكتاب خانتهم ذاكرة المؤمن، فنسي اليهود حظا مما ذكروا به، فحرفوا الكلم عن مواضعـه، ولاتـزال خياناتهم مستمرة، وأما النصارى ﴿**فنسوا حظًّا مِّمَّا ذكِّروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضآء إلىٰ يوم القيامة وسوف ينبِّئهم الله بما كانوا يصنعون**﴾[١٦٩]

ونسي كثير من بني إسرائيل واجب النصيحة، فحلت بهم العقوبة، ولم يفلت منها إلا من نهوا عن السوء ﴿**فلمَّا نسوا ما ذُكِّروا بهٓ أنجينا الَّذين ينهون عن السُّوٓء وأخذنا الَّذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون**﴾[١٧٠]

ويصور القرآن الكريم حقيقة هؤلاء المعرضين عن الذكر أسلوبًا ونتيجة، فيقول تعالى: ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشَّافعين. فمالهم عن التَّذكرة معرضين. كأنَّهم حمر مُّستنفرة**﴾[١٧١] فرسم القرآن الكريم صورة منفرة لإعراضهم، كما أشار إلى موقفهم يوم القيامة عندما يواجهون العذاب بلا شفيع ولانصير.

---

(١٦٦) الكهف، من الآية [٥٧].

(١٦٧) السجدة، من الآية [٢٢].

(١٦٨) التوبة، الآية [١٢٦].

(١٦٩) المائدة، من الآية [١٤].

(١٧٠) الأعراف، الآية [١٦٥].

(١٧١) المدثر، الآيات [٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥٠].

والوصف بعدم التذكر نراه سجية لكل منحرف عن دين الله، يقول تعالى: ﴿**وإذا ذُكِّروا لايذْكرون**﴾[١٧٢] ولاعجب فهو أساس الداء والباعث الأقوى على الانحراف، فالذي لايتذكر تختلط أمام بصيرته القيم، يقول تعالى ﴿**ومايستوي الأعمىٰ والبصير والَّذين ءامنوا وعملوا الصَّالحات ولا المسيٓء قليلًا مَّا تتذكَّرون**﴾[١٧٣].

والذي لايتذكر يتورط في أرجاس الشرك: ﴿**اتَّبعوا مآ أنزل إليكم مِّن رَّبِّكم ولا تتَّبعوا من دونهۦٓ أوليآء قليلًا مَّاتذكَّرون**﴾[١٧٤]

ووصف الكفار بقلة التذكر المعنى به العدم، ورد أيضاً في مواضع أخرى.

والذى لا يتذكر تختفى أمام عينيه الحقائق الساطعة ﴿**ولقد صَّرفناه بينهم ليذَّكَّروا فأبىٰٓ أكثر النَّاس إلَّا كفورًا**﴾[١٧٥] ﴿ **أنَّىٰ لهم الذِّكرىٰ وقد جآءهم رسول مُّبين،ثم تولَّوا عنه وقالوا معلَّم مجنون**﴾[١٧٦].

(٤) يؤكد القرآن الكريم أن التذكر أو الانتفاع بالذكرى والاستفادة من التذكير لون من السلوك الأقوم لا يتيسر إلا لأنماط معينة من البشر.

(أ) من هم على درجة من العقل الراشد، واللب النابه، والبصيرة النافذة، وقد ورد في السور والآيات الآتية مايفيد أن التذكر مقصور على أولي الألباب، وذوي البصيرة والعقول مثل ﴿**وما يذَّكَّر إلَّآ أولوا الألباب**﴾ ومثل ﴿**لقوم يعقلون**﴾ ومثل ﴿**إنَّ فى ذٰلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السَّمع وهو شهيد**﴾ [راجع ٢٦٩/البقرة، ٧/آل عمران، ١٩/الرعد، ٥٢/إبراهيم، ٢٩/ص، ٥٤/غافر، ٩، ٢١/الزمر- ٣٧/ق].

---

(١٧٢) الصافات، الآية [١٣].

(١٧٣) غافر، الآية [٥٨].

(١٧٤) الأعراف، الآية [٣].

(١٧٥) الفرقان، الآية [٥٠].

(١٧٦) الدخان، الآيتان [١٣ - ١٤].

(ب) من هم على صفة الإيمان أو التقوى أو العبادة أو الإنابة، وهذه الصفات هى من أرفع المستويات التي يصل إليها المسلمون بإسلامهم، وهذه الصفات ليست متباينة، وإنما هي مترابطة متآخية، ولاتتحقق ـ بصدق ـ إحداها إلا إذا تحققت أخواتها، فلا إيمان بدون تقوى، والعبادة جوهرهما، والإنابة تضفي عليهما حيوية العقيدة، وعمق تأثيرها.

وأكثر هذه الصفات ارتباطاً بالذكر والتذكر صفة التقوى، لأنها تقوم على مراقبة الله وخشيته، ومن هنا كان المتقون أكثر الناس ذكراً لله، وتذكراً لآياته.

ففي ارتباط الذكر بالتقوى وردت ثماني آيات تؤكد أن التذكر صفة لازمة للتقوى **﴿إنَّ الَّذين اتَّقوْا إذا مسَّهم طٰئِف مِّن الشَّيطان تذكَّروا﴾**[177] **﴿إلَّا تذكرة لِّمن يخشىٰ﴾** [طه/٣، وكذلك ٤٨/الأنبياء، ٤٥/ق، ٤٨/الحاقة، ١٠/الأعلى].

وجاءت ثلاث آيات تؤكد ارتباط التذكر بعقيدة الإيمان وهى [١٢/هود ٥١/العنكبوت، ١٥/السجدة].

وفي علاقة الإنابة بالذكر، يقول تعالى: **﴿هو الَّذي يريكم ءَايٰته وينزِّل لكم مِّن السَّمآء رزقاً وما يتذكَّر إلَّا من ينيب﴾**[178] **﴿تبصرةً وذكرىٰ لكلِّ عبدٍ مُّنيب﴾**[179]

وفي ارتباط العبادة بالذكر يقول تعالى: **﴿رحمةً مِّن عندنا وذكرىٰ للعابدين﴾**[180]

والذاكر هو الذي يتذكر، وهذا الارتباط لغوي وقرآنى أيضًا، إذ يقول تعالى: **﴿إنَّ الحسنات يذهبن السَّيِّئات ذٰلك ذكرىٰ للذَّاكرين﴾**[181]

---

(١٧٧) الأعراف، من الآية [٢٠١].
(١٧٨) غافر، الآية [١٣].
(١٧٩) ق، الآية [٨].
(١٨٠) الأنبياء، من الآية [٨٤].
(١٨١) هود، من الآية [١١٤].

(٥) التذكر منطلق المسئولية:

فعند الذكرى أو التذكر تتحدد المسئولية، وتتأكد، وتنتفي الأعذار، والتعللات يبدو ذلك من خطاب الله لرسوله فى هاتين الآيتين ﴿**وإمَّا ينسينَّك الشَّيطان فلا تقعد بعد الذِّكرىٰ مع القوم الظَّالمين. وما على الَّذين يتَّقون من حسابهم مِّن شيء ولكن ذكرىٰ لعلَّهم يتَّقون**﴾[١٨٢] ﴿**ومن أظلم مِمَّن ذكِّر بَآيَتِ ربِّه ثم أعرض عنها**﴾[١٨٣] ﴿**فأعرض عنها**﴾[١٨٤].

بواعث التذكر

من هذه الموضوعات التى أثرتها، والنتائج التي استخلصتها نستطيع أن نقف على مدى أهمية التذكر في سلوك كل ذى دين، وبخاصة دين الإسلام الذى اصطفاه الله وارتضاه.

وبالدراسة الواعية القائمة على استقراء دقيق لاستعمالات هذه الألفاظ فى القرآن الكريم (**التذكر والتذكير والذكرى**) نرى أن الكتاب العزيز وضع تحت أيدينا وسائل التذكر وبواعثه، وهي متعددة ومتنوعة حتى تغطي ميول البشر، وتصيب نوازعهم وهي مختلفة ومتنوعة.

وهذه هي البواعث التي تدفع إلى التذكر، معززة بآيات القرآن الكريم التى تناولتها.

(١) الكتاب السماوى بعامة باعث على التذكر، والقرآن بخاصة يعد من أول الوسائل، وأقوى البواعث والحوافز، فهو من حيث الإطار، يثير التذكر بلسانه العربي، ومن حيث المضمون هو مليء بالمواعظ والعبر، حافل بالدروس والقصص، وهو كما قلنا أول البحث ـ والذكر صنوان، فالقرآن ذو الذكر، وسماه الله ذكراً في أكثر من موضع، وفي خمس عشرة آية منه يبين الله لنا أن كتاب السماء،

---

(١٨٢) الأنعام، من الآية [٦٨] والآية [٦٩].

(١٨٣) السجدة، من الآية [٢٢].

(١٨٤) الكهف، من الآية [٥٧].

يحرك النفوس، إلى التذكر، فلا يضيع إيمانها في سحب الغفلة وركامها، في ثلاثة مواضع منها حديث عن كتاب موسى، وفي باقيها حديث من القرآن.

وهذه هي السور والآيات التي وصفت كتاب الله بأنه دافع إلى التذكر، ووسيلة إلى التـذكـير: [٤١/الإسراء، ٤٨/الأنبياء، ٤٣/القصص، ٥١/العنكبوت، ٢٩/ص، ٥٣، ٥٤/غافر، ٥٨/الدخان، وفي سورة ق **﴿فذكِّر بالقرءان من يخاف وعيد﴾**[١٨٥] وفي سورة القمر جاءت هذه الآية: **﴿ولقد يسَّرنا القرءان للذِّكر فهل من مُّدَّكر﴾**[١٨٦] أربع مرات. وفي الحاقة **﴿وإنَّه لتذكرة للمتَّقين﴾**[١٨٧].

(٢) وجاء لفظ الآيات باعثاً على التذكر في نحو سبع آيات. والآيات إما كونية وإما قرآنية والتذكير بالقرآن تحدثنا عنه، والتذكير بآيات الكون سنتحدث عنه، أما في هذه المواطن فقد جاءت الآيات عامة بدون تحديد، لكن في بعض المواطن يغلب على الظن أنها القرآنية، وفي بعضها الآخر يترجح أنها الكونية.

فمن **الأولى ﴿ومن أظلم مِمَّن ذكِّر بـَايـَـت ربِّه﴾**[١٨٨]؟ الكهف والسجدة **﴿والَّذين إذا ذكِّـروا بـَايـَـت ربِّهم لم يخـرُّوا عليها صمًّا وعميانًا﴾**[١٨٩] وراجع ١٥/السجدة و٢٢١ البقرة.

ومن الثانية قوله تعالى: **﴿ذٰلك من ءَايَت الله لعلَّهم يذَّكَّرون﴾**[١٩٠] والمشار إليه نعم الله على بني آدم باللباس، والرياش، ثم إرشادهم إلى أن لباس التقوى أجمل وأكمل.

---

(١٨٥) سبقت.
(١٨٦) القمر، الآية [١٧].
(١٨٧) الحاقة، الآية [٤٨]
(١٨٨) سبقت.
(١٨٩) الفرقان، الآية [٧٣].
(١٩٠) الأعراف، من الآية [٢٦].

﴿ولقد صرَّفناه بينهم ليذَّكَّروا فأبىٰ أكثر النَّاس إلاَّ كفورا﴾[١٩١] أي أن الحديث في إنشاء السحاب، وإنزال المطر تنوع القول فيه بين الناس في القرآن وفي الكتب السماوية الأخرى ليتذكروا ويعتبروا.

(٣) التأمل في مخلوقات الله وفي سننه الكونية. وهذا من أقوى البواعث على التذكر ومن أنجح وسائل التذكير، ولا عجب فهو المنهج الذي ارتضاه القرآن لهداية النفوس الضالة إلى الله وفي غرس جذور العقيدة، ودعم سلطانها على قلوب البشر.

وقد أشرت في الفقرة السابقة إلى آيتين فيهما حديث عن آيات الله، حافز على التذكير.

وتأمل معي هذه الآيات التي تعرض جوانب من الكون العظيم، لتنتهى بالناس إلى ضرورة الإيمان والتوحيد ﴿إنَّ ربَّكم الله الَّذى خلق السَّمٰوات والأرض في ستَّة أيَّام ثم استوىٰ على العرش يدبِّر الأمر ما من شفيع إلاَّ من بعد إذنه ذٰلكم الله ربُّكم فاعبدوه أفلا تذكَّرون﴾[١٩٢] ﴿ألم تر أنَّ الله أنزل من السَّمآء مآءً فسلكه ينابيع في الأرض ثمَّ يخرج به زرعاً مُّختلفاً ألوانه ثم يهيج فتَرىٰهُ مصفرّاً ثم يجعله حطاماً إنَّ في ذٰلك لذكرىٰ لأولي الألباب﴾[١٩٣] ﴿ومن كلِّ شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكَّرون﴾[١٩٤] وراجع [٥٧/ الأعراف - ١٧/ النحل - ٦٢/ الواقعة - ٨/ ق - ٣١/ المدثر - ٦٢/ النمل]

(٤) التذكير بعبر التاريخ وأحداثه:

والتاريخ ذاكرة البشر، وملهم المواعظ، وكلما عرفت الأمم ماضيها، أقامت على أصح التجارب مستقبلها، ولذلك عني القرآن الكريم بدعوة الأمم إلى السير فى

---

(١٩١) سبقت.

(١٩٢) يونس، الآية [٣].

(١٩٣) الزمر، الآية [٢١].

(١٩٤) الذاريات، الآية [٤٩].

الأرض، والنظر في أخبار السابقين، وكان القصص القرآني على كثرته وتنوعه بمثابة جذب لذاكرة النبى ﷺ نحو عبر الماضي، لينتفع بها في الحاضر، فالتجربة البشرية واحدة، والتاريخ يعيد نفسه يقول تعالى: ﴿**كذٰلك مآأتى الَّذين من قبلهم مِّن رَّسول إلاَّ قالوا ساحر أو مجنون، أتواصَوْا به بل هم قوم طاغون**﴾[١٩٥] وقد مرت آيات فيها دعوة للرسل إلى تذكر التاريخ، وتذكير أممهم به مثل قوله تعالى لنبيه موسى ﴿**وذكِّرهم بأيَّام الله**﴾[١٩٦] كما يقول لنبيه محمد ﷺ ﴿**وكلاًّ نَّقُصُّ عليك من أنبآء الرُّسل مانثبِّت به فؤادك وجآءك فى هذه الحقُّ وموعظة وذكرىٰ للمؤمنين**﴾[١٩٧] وفى تذكير البشر بالقرون السابقة يقول تعالى ﴿**إنَّ في ذٰلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السَّمع وهو شهيد**﴾[١٩٨] بعد قوله تعالى: ﴿**وكم أهلكنا قبلهم مِّن قرن**﴾[١٩٩]

وللقصص القرآنى هدف آخر، وهو تذكير المعاندين والضالين ﴿**ولقد وصَّلنا لهم القول لعلَّهم يتذكَّرون**﴾[٢٠٠]

(٥) يوم القيامة:

اليوم الحق، ويوم الهول ويوم الزلزلة، ويوم القارعة، سيعيد للغافلين ذاكرتهم، ويطلبون دنيا أخرى، يستدركون فيها مافات، ويكون الجواب: ﴿**أو لم نعمِّركم مَّايتذكَّر فيه من تذكَّر**﴾[٢٠١] ووصف القرآن الكريم يوم القيامة بأنه يوم التذكر ﴿**وَجِاْىٓءَ يومئذ بجهنَّم يومئذ يتذكَّر الإنسان وأنَّىٰ له الذِّكرىٰ**﴾[٢٠٢] ﴿**يوم يتذكَّر الإنسان ما سعىٰ**﴾[٢٠٣] واقرأ الآيات [١٨/محمد، ٥٤، ٥٥/المدثر، ١٩/المزَّمِّل].

---

(١٩٥) الذاريات، الآيتان [٥٢ ـ ٥٣].

(١٩٦) إبراهيم، من الآية [٥].

(١٩٧) هود، الآية [١٢٠].

(١٩٨) ق، الآية [٣٧].

(١٩٩) ق، من الآية [٣٦].

(٢٠٠) القصص، الآية [٥١].

(٢٠١) فاطر، من الآية [٣٧].

(٢٠٢) الفجر، الآية [٢٣].

(٢٠٣) النازعات، الآية [٣٥].

(٦) التذكير بالمحن والنعم:

قد يسلط الله على البغاة المحن ـ رحمة منه ـ رجاء أن يتذكروا، يقول تعالى: ﴿**ولقد أخذنا ءال فرعون بالسِّنين ونقصٍ مِّن الثَّمرات لعلَّهم يذّكّرون**﴾[٢٠٤] ومنهم الغارقون في الغفلة، فلا تؤثر فيهم ضراوة المحنة، وهم المنافقون ﴿**أولا يرون أنَّهم يفتنون فى كلِّ عام مَّرَّة أو مرَّتين ثم لا يتوبون ولاهم يذّكَّرون**﴾[٢٠٥]

والنعم باعث آخر على التذكر، وتبلغ من بعض النفوس أكثر مما تبلغ منها المحنة، يقول تعالى: ﴿**فاذكروآ ءَالآءَ الله لعلَّكم تفلحون**﴾[٢٠٦] ﴿**فاذكروآ ءَالآءَ الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين**﴾[٢٠٧]

وفي نعم الله على الصالحين موعظة وتذكرة، يقول عن نبيه أيوب: ﴿**فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرٍّ وَءَاتيْنه أهله ومثلهم مَّعهم رحمةً مِّن عندنا وذكرىٰ للعابدين**﴾[٢٠٨].

وفي سورة ص، يقول الله تعالى: ﴿**ووهبنا له أهله ومثلهم مَّعهم رحمةً مِّنَّا وذكرىٰ لأولى الألباب**﴾[٢٠٩]

وفي إنقاذ المؤمنين بنوح من الطوفان تذكرة بالغة، إذ يقول تعالى مشيراً إلى السفينة ﴿**لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية**﴾[٢١٠]

وفي معرفة الإنسان للنار تذكرة ومتعة، تذكرة بنار الآخرة وبلائها وأهوالها، ومتعة فى الدار العاجلة: إذ يستخدمها الإنسان فى تحصيل الكثير من منافعه يقول تعالى: ﴿**نحن جعلناها تذكرةً ومتاعًا للمقوين**﴾[٢١١]

---

(٢٠٤) الأعراف، الآية [١٣٠].
(٢٠٥) سبقت.
(٢٠٦) الأعراف، من الآية [٦٩].
(٢٠٧) الأعراف، من الآية [٧٤].
(٢٠٨) الأنبياء، الآية [٨٤].
(٢٠٩) ص، الآية [٤٣].
(٢١٠) الحاقة، الآية [١٢].
(٢١١) الواقعة، الآية [٧٣].

والمقوون: المسافرون

(٧) القول اللين، والموعظة الحسنة، وضرب الأمثال:

لين القول وحسن الموعظة، والاستعانة على هذا وذاك بضرب المثل من أبلغ وسائل التذكير التى اعتمد عليها القرآن فى نصح البشر.

فبالقول اللين وصى الله نبيه موسى وأخاه هارون: ﴿**فقولا له قولاً لَّيِّناً لَّعلَّه يتذكَّر أو يخشىٰ**﴾[٢١٢]

وهذان نموذجان للقول اللين الذى يحفز إلى التذكر، من واقع أسلوب القرآن. الأول: فى مجادلة من زعموا الملائكة بنات الله مع بغضهم للبنات: ﴿**أصطفى البنات على البنين. مالكم كيف تحكمون أفلا تذكَّرون**﴾[٢١٣] والثانى فى محاورة من اتبعوا هواهم فضلوا السبيل: ﴿**أَفَرَءَيْتَ من اتَّخذ إلٰهه هواه وأضلَّه الله علىٰ علم وختم علىٰ سمعه وقلبه وجعل علىٰ بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكَّرون**﴾[٢١٤]

وقد استعان القرآن الكريم على ذلك بضرب الأمثال، وقد عرفنا مثل الفريقين: المؤمنين والكافرين، وتشبيه الأولين بالبصير والسميع، والآخرين بالأعمى والأصم، وتعقيب الآية على ذلك بهذا التساؤل: ﴿**هل يستويان مثلاً أفلا تذكَّرون**﴾[٢١٥]

وفي القيمة التوجيهية والتأثيرية لضرب الأمثال، وفي دفعها القوي إلى التذكر يقول تعالى ﴿**ويضرب الله الأمثال للنَّاس لعلَّهم يتذكَّرون**﴾[٢١٦] كما يقول تعالى:

---

(٢١٢) طه، الآية [٤٤].

(٢١٣) الصافات، الآيات [١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥].

(٢١٤) الجاثية، الآية [٢٣].

(٢١٥) هود، من الآية [٢٤].

(٢١٦) إبراهيم، من الآية [٢٥].

﴿ولقد ضربنا للنَّاس في هٰذا القرءان من كلِّ مثل لَّعلَّهم يتذكَّرون﴾[٢١٧] **ويقول تعالى ﴿وتلك الأمثال نضربها للنَّاس لعلَّهم يتفكَّرون﴾**[٢١٨] **﴿وتلك الأمثال نضربها للنَّاس وما يعقلهآ إلَّا العالمون﴾**[٢١٩]

والآية الأخيرة تكشف عن المقدرة الفكرية والعلمية الواسعة التي يتصف بها كل إنسان يستفيد من أمثال القرآن الكريم.

رب أعني على ذكرك، وذكرني بآياتك حتى تذكرني يوم العرض عليك، واجعل لكل مسلم يقرأ بوعي كفلا مما دعوت, إنك سميع الدعاء.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(٢١٧) الزمر، الآية [٢٧].
(٢١٨) الحشر، من الآية [٢١].
(٢١٩) العنكبوت، الآية [٤٣].

مصادر البحث

(١) القرآن الكريم.
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم. مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
(٤) تفسير المنار. محمد رشيد رضا.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆